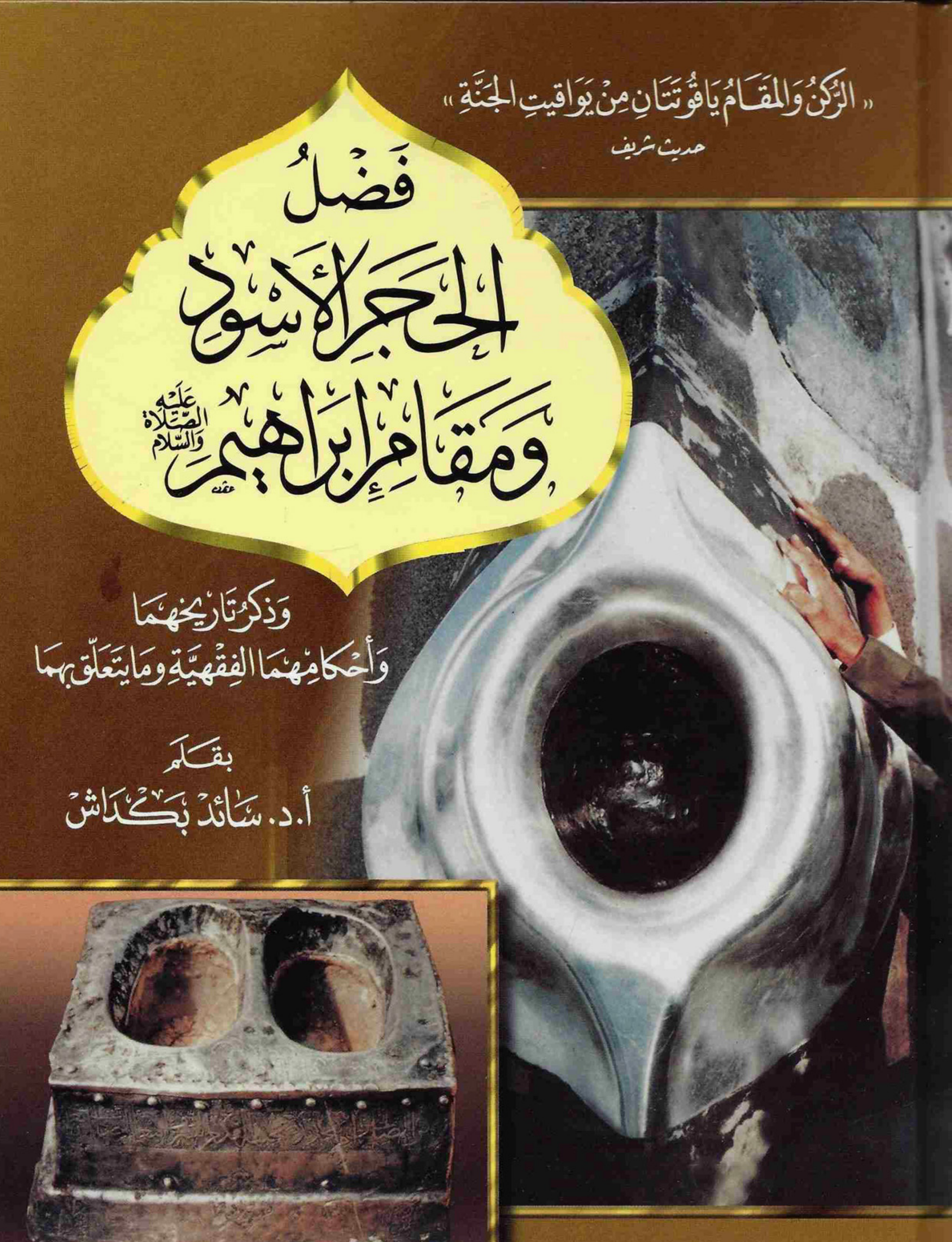


«الرُّكنُ والمقامُ ياقُوتتانِ مِن يواقيتِ الجنَّةِ»

حديث شريف

فضلُ الحجرِ الأسودِ ومقامِ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام

وذكرُ تاريخهما وأحكامِهما الفقهيَّةِ وما يتعلَّقُ بهما

بقلم

أ.د. سائد بكداش

دار السراج

دار البشائر الإسلامية

«الرُّكنُ والمقامُ ياقوتتانِ مِن يواقيتِ الجنَّةِ»

حديث شريف

فَضلُ
الحجرِ الأسودِ ومقامِ إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام

وذكرُ تاريخهما وأحكامِهما الفقهيَّةِ وما يتعلَّقُ بهما

بقلم

سائِد بكدَاش

دار البشائر الإسلاميّة

فضل

الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وذكر تاريخهما وأحكامهما الفقهية وما يتعلق بهما

المدينة المنورة - ص ب : ٦٤٧٩

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

قامت بطباعته وإخراجه دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب : ٥٩٥٥ - ١٤ ويطلب منها

بسم الله الرحمن الرحيم

التقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيدنا محمدٍ المبعوثِ رحمةً للعالمين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فيقول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إن أوَّل بيتٍ وُضِعَ للنَّاس للذي ببَكَّة مباركاً وهدى للعالمين ۞ فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيم ومَنْ دَخَلَه كان آمِناً ﴾ .

فهو بيت عظيم مبارك ، كثير الخيرات والمنافع والبركات ، لما يحصل عنده من تَنَزُّل السَّكِيْنة والرَّحمات ، وتكفير الخطايا والسيئات .

وقد عظَّم الله تعالى شعائر بيته الحرام ، وجعل تعظيمها من تقوى القلوب للملِك العلاَّم ، وأَوْدَعَ فيه آيات بينات باقيات ، لحِكَمٍ كثيرة وأسرارٍ عظيمة .

ومن تلك الآيات المشهودة التي يراها كلُّ مَن عاين الكعبة المشرفة : ذلك الحَجَر المكرَّم المعظَّم الذي نَزَل من الجنة ، وهو ياقوتة من يواقيتها ، وكان لونه أبيضَ من اللَّبَن لكن سوَّدَتْه خطايا العباد .

وهو بمنزلة يمين الله في الأرض ، منه يبدأ الطائفون طوافهم باستلامه وتقبيله ، حيث إن استلامه شعارُ الطواف وعُنوانُه .

ولعظيم مكانته وفضله كانت حفاوة رسول الله ﷺ به كبيرة ، وعنايته به عظيمة ، وذلك ببيان فضله الكبير ، وشرفه العظيم فيما قاله ﷺ وحدَّث عنه ، وبما فعله ﷺ من مسحه وتقبيله له .

وقد قبَّله رسولُ الله ﷺ بيقين ، فزاده شرفاً على شرف ، وبركة على بركة .

ولكثرة خيراته وبركاته تغشاه الملائكة الكرام على الدوام ، فتزدحم على تقبيله واستلامه ، أما أفئدة المؤمنين فقد هَوَت إليه بلهفة شديدة ، فلا تخلو لحظة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وهناك معظِّم له بالاستلام والتقبيل ، لتُحَطَّ عنه الخطايا والسيئات ، وليكون شاهداً وشفيعاً له عند الله تعالى .

فيا سَعْدَ وياشرف من حَظِيَ بالالتثام ، فهنَّأه الله بما أعطاه ، ويافَخْره على الأنام بما أولاه .

عنده تُسكب العَبَرات ، وتُجاب الدعوات ، وتَذْهب الحَسَرات .

فيه سرٌّ إلهي عظيم ، فلم يُعبد من دون الله ، لافي الجاهلية ولافي الإسلام ، مع كثرة تعظيمه وتقبيله ، فسبحان الملِك العلاَّم .

❁ وخلف الحَجَر الأسود ، وعن يمين الناظر إليه : حَجَرٌ آخـر رفيعُ المقام ، عظيمُ الشان ، وهو أيضاً ياقوتةٌ من يواقيت الجنة ، ألا وهو مقـام نبي الله إبراهيم الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وهو حجر نزل من الجنة ، قام عليه سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين ارتفع بناؤه للبيت ، وشقَّ عليه تناول الحجارة ، فكان يقوم عليه ويبني ، وإسماعيل عليه الصلاة والسلام يناوله الحجارة .

وقد جعل الله تعالى فيه آيات ظاهرة على ممر الدهور والأيام ، منهـا : أن الحجر لاْنَ تحت قَدَميه الشريفتين ، حتى ارتسم فيـه أثرهمـا ، فكـان ذلك دلالة ظاهرة على أن باني البيـت هـو إبراهيـم الخليـل عليـه الصـلاة والسـلام ، كرَقْـم البـاني في البنـاء ، ليُذْكـر بـه بعـد موتـه علـى الـدوام ، وكانت الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسمَ مَن بناه .

وقد علا سيدنا إبراهيم الخليل مرة أخرى على هـذا الحجـر المبـارك ، وذلك حين أُمِرَ بالنداء للأذان بالحج في الناس ، حتى أسمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء .

وهكذا جعل الله تعالى المقام من أعظم الآيات البينات الباقيات في بيتـه الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ فيه آيات بينات مقـامُ إبراهيـم ﴾ ، كمـا أَمَـر باتخاذه مصلى تكريماً له وتشـريفاً ، فقـال جـلَّ ذكـره : ﴿ واتَّخِـذوا مـن مقام إبراهيم مصلًّى ﴾ .

فيـاحبذا الرُّكـن والمقـام ، ومـاأودع الله فيهمـا مـن الآيـات العِظـام ، وياطوبى ثم طوبى لمن حَظِي بالانتشاق والالتثام والقيام ، فلاطيب يعـدِل

طيب تلك المشاهد والخيام ، وروْضِ النبيِّ المعظَّم خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

❋ كل ما تقدم من الفضائل عن الحجر الأسود والمقام وغيرها تجده مفصَّلاً ومدلَّلاً عليه في هذه الكتابة التي يسَّر الله تعالى لي جمعها ، مضافاً إلى ذلك مايتعلق بصفتهما وتاريخهما والحوادث التي مرَّت عليهما ، مع ذِكْر خصائصهما وآياتهما ، وبركات الصلاة والدعاء خلف المقام ، وجملة من أخبار السلف في تحرِّيهم الجلوس خلفه .

هذا وبيَّنت بالتفصيل الأحكام الفقهية المتعلقة بهما ، وألحقت للمناسبة فروعاً فقهية مهمة تتعلق باستلام وتقبيل الركن اليماني .

وعن موضع المقام في زمن النبي ﷺ وفيما قبله وبعده ذكرت أقوال العلماء في ذلك بتوسع ، مع بيان أدلتها التفصيلية ومناقشتها .

وختمتُ كتابتي عن الحجر الأسود بطائفة رائقة من الأشعار في مدحه وبيان فضله .

أما الجانب الحضاري لبناء الحجر والمقام ، وما أُجري عليهما في التاريخ من تجديدات وترميمات ، وما وُضع عليهما من ذهب وفضة ونحو هذا ، فلم أُولِ هذا الجانب اهتماماً ، لئلا أشغل القارئ بما ليس فيه كبير فائدة فيما أرى ، والله ملهم الخير والصواب .

وهكذا جعلتُ الرسالة في قسمين رئيسيين ، تسبقهما مقدمة عن الحجر والمقام وما أُلِّف فيهما مطبوعاً ومخطوطاً ، أما القسم الأول فخاص

بالحجر الأسود ، والقسم الثاني عن مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكل قسم منهما يضم أبواباً وفصولاً عدة ، وسميتها :

فضل
الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام

❋ وقد كان منهجي في الكتابة عن الحجر والمقام كالحال في كتابتي عن : (فضل ماء زمزم) ، حيث بَذَلْتُ وُسعي في تتبُّع ماكُتِب عنهما في كُتُب تاريخ مكة المكرمة ، قديمها وحديثها ، مطبوعها ومخطوطها ، وماجاء عنهما في كتب التفسير والسنة النبوية وشروحها ، وكتب الفقه والمناسك وغيرها .

وقد يسَّر الله تعالى لي الوقوف على أكثر من مخطوط في موضوعهما ، فجمعتُ شَمْل ذلك كله مرتباً منسَّقاً ، مع عزو الأحاديث والآثار والأقوال إلى مخرِّجيها وقائليها ، وذكر أقوال الأئمة في بيان درجة الحديث .

❋ والذي دعاني لتخصيص الحجر والمقام بالكتابة ، أني لم أجد كتاباً مفرَداً فيهما ، يسهل الرجوع إليه والوقوف عليه ، يكون جامعاً شاملاً لما يتَّصل بهما .

هذا بالإضافة إلى غياب الكثير من أخبارهما وفضائلهما عن عامة حُجَّاج وعُمَّار بيت الله الحرام ، ووَفْد الله من الحاضر والباد .

وأما عن سبب الكتابة عنهما معاً والجمع بينهما في رسالة واحدة ، فهو كونهما حجرَيْن كريمَيْن أخوَيْن توأمَيْن نزلا من الجنة ، واستقرَّا جارَيْن عزيزَيْن مع قرب حسّي شديد بينهما عند بيت الله العتيق ، فكان من الإحسان إليهما توثيق الصلة بينهما معنوياً ، وتسديد اللُّحمة بينهما .

وأيضاً فكل طائف بالبيت يجمع بينهما بالاستلام والصلاة ، وكذلك نجد أن رسول الله ﷺ قَرَنَهما بالذكر في أحاديث كثيرة .

فالحمد لله الذي أعانني ويسَّر لي ذلك ، وأسأله المزيد من فضله ، وله الشكر والثناء على ماأَنْعَم وأَوْلى ، كما يُحِبُّ ربنا ويرضى ، لانحصي ثناء على الله ، هو كما أثنى على نفسه .

❋ ولاأَنْسَى أن أشير هنا إلى أنني وكلَّ كاتب يكتب إنما نحن عالَةٌ على مَن قبلنا من العلماء والمصنِّفين ، نكتب فنجمع من فُتات موائدهم العامرة ، وما حفظه الله من آثارهم الباقية ، فرحمهم الله تعالى ، وجزاهم عنا وعن الإسلام خير الجزاء .

وفي هذا يقول الإمامُ محمد بن يوسف الكَرْمَاني ، المتوفى سنة ٧٨٦هـ ، في مقدمة شرحه لصحيح البخاري : « الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري » ، وقد ذَكَرَ مَن سَبَقَه من الشارحين :

« وكيف وإني مقتبِسٌ من لوامع أنوارهم الشارقات ، ملتمِسٌ من جوامع آثارهم البارقات ، فهم القدوة وبهمُ الأسوة ، رضي الله عنهم وعن جميع أسلافنا : أئمةٌ جابوا في تحصيلها الفَلَوات ، ونَسُوا في خِدْمتها

اللذَّات والشهوات ، ومارسوا الدفاتر ، وسامروا المحابر ، فأجالوا في نَظْم قلائدها أفكارهم ، وأنفقوا على اقتناص شواردها أعمارهم ، ووقفوا لتقييد أوابدها ليلَهم ونهارَهم ، فأخذوا وبلَّغوا ، وأصَّلوا وفصَّلوا ، ومهَّدوا وأسَّسوا ، وجَمَعُوا وفنَّنوا ، ووَضَعُوا وأَتْقَنوا ، وألَّفوا وصنَّفوا ، ورتَّبوا ودوَّنوا ، وفرَّعوا وبوَّبوا ، وصحَّحوا ونقَّحوا .

صانوها عن التحريف والفساد ، وحَفِظوها عن التصحيف والنقص والازدياد ، وكلما عَرَضَ لهم ولها شيء من الفترة : ردَّ الله لها الكرَّة ، وأكمل لهم المعونة والنُّصْرة ، حتى وَصَلَتْ إلينا صافية المشارع ، ضافية المدارع[١] ، ورياضُ صحائفها تصبح مُمْرِعَة[٢] ، وحياض لطائفها تضحي مُتْرَعة[٣] ، فعظَّمَ الله أقدارَهم الفاخرة ، ورَفَعَ أخطارهم الشريفة في الآخرة ، وأعلى درجاتهم في أعلى عليين ، مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ... » اهـ من كلام الكَرْماني .

❋ هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى وهو عوني وسَنَدِي ، وهو مجيبُ دعوة السائلين أن ينفع بما كتبتُه ، وأن يرزقني فيه من الإخلاص مايكون كفيلاً لي في الآخرة من الخَلاص ، ومن التوفيق مايدلَّني على أرشد طريق ، وأن يجعله في حرز القبول ، عليه توكلت وبه اعتصمت ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وأرجو من القارئ الكريم أن يذكرني بدعوة صالحة تعود عليَّ وعليه ،

---

(١) ، (٢) ، (٣) أي صافية الموارد غزيرة بالعلوم والمعارف .

ويقول له المَلَكُ الموكَّل به عند دعائه بها : « آمين ولك بمِثْلها » .

كما أسأله سبحانه أن يغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا ، ولكل من له حق علينا ، وللمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

وكتبه

سائد بن محمد يحيى بكداش

في المدينة المنورة

الأربعاء ٩ من رمضان المبارك ١٤١٥هـ

ما وقفت عليه
من المؤلفات عن الحجر والمقام

لقد احتلَّ الحجر الأسود والمقام مكانة مرموقة في كُتُب تاريخ مكة المشرَّفة ، وذلك لفضلهما ورِفعة شأنهما ، وكان لهما حيِّزٌ واسعٌ فيها ، وكذلك الحال في كُتُب السنة النبوية والفضائل وغيرها .

أما عن إفرادهما بالتصنيف ، فلم يترك علماؤنا السابقون شيئاً إلا وكتبوا وصنفوا فيه ، لاسيما ما يتعلق بالمناسك وتلك البقاع الطاهرة ، عَرَفَ ذلك مَن عَرَفه ، وجَهِلَه مَن جَهِله ، وقد غاب عنا منها الشيء الكثير .

وأما حديثاً ففي سنة ١٣٧٧هـ بعد تجديد سقف الكعبة المعظَّمة ، وأيام توسعة الحرم المكي الشريف ، قامت فكرة تأخير مقام إبراهيم عن مكانه لتوسعة المطاف ، وحصل خلاف في جواز ذلك ، فأُلِّفت في هذه المسألة عدة رسائل ، بالجواز وعدمه ، وحصل أَخْذٌ وردّ ، وكانت أول رسالة صدرت في ذلك للشيخ عبد الرحمن المعلِّمي اليماني سنة ١٣٧٨هـ ثم تلَتْها عدة رسائل ، كما سيأتي ذكرها بالتفصيل .

وفي عام ١٣٨٥هـ نشرت رابطة العالم الإسلامي قراراً يقضي بإبقاء

المقام في مكانه ، وأن تُصغَّر المقصورة المبنية فوقه ، وذلك لتوسعة المطاف ، وجاءت كما هي بصورتها الحالية الآن[١] .

وفيما يأتي أذكر ماوقفت عليه من مؤلفات مطبوعة أو مخطوطة خاصة بالحجر أو المقام :

١- العَلَم المُفْرَد في فضل الحجر الأسود .

للإمام ابن عَلاَّن محمد علي بن محمد الصديقي المكي المتوفى سنة ١٠٥٧هـ[٢] رحمه الله تعالى ، ذكره المحبي في خلاصة الأثر ١٨٧/٤ في ترجمته ، وقد وقفت على نسخة مخطوطة منه في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة برقم ١٦٤٥ ضمن مجموع فيه عدة مؤلفات لابن علان ، تقع الرسالة في ٣٥ ورقة بحجم وسط ، ونَقَل عنه كثيراً الشيخ محمد طاهر الكردي في كتابه : « التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم » .

وقد طَبَعَ الصفحات الأربعة الأخيرة من هذه الرسالة الشيخ محمد ماجد الكردي رحمه الله في مطبعته الماجدية في مكة المكرمة سنة ١٣٣١هـ ، وتوجد ضمن مجموع من مطبوعاته في مكتبة الحرم النبوي الشريف ، و لم أعرف سبب طبع هذا الجزء الصغير منها دون باقيها الأعظم ! .

---

(١) وقد أتى بنص القرار الشيخ محمد طاهر الكردي في التاريخ القويم ٥٣/٤ .

(٢) الإمام المفسِّر المحدّث الفقيه الشافعي المؤرّخ ، صاحب التصانيف المشهورة ، له أكثر من ستين مؤلفاً ، وكلها غُرر ، من أشهرها : الفتوحات الربانية شرح لكتاب الأذكار للنووي ، ودليل الفالحين لطرق رياض الصالحين للنووي ، تَرْجَمَ له المحبّي في خلاصة الأثر ١٨٤/٤ .

٢- رسالة في الكلام على الحجر الأسود .

للشيخ أحمد بن أحمد الفرقاوي الفيومي الأزهري المالكي ، المتوفى سنة ١١٠١هـ رحمه الله ، وهي رسالة صغيرة الحجم في خمس لوحات ، مع استطرادات كثيرة على صغر حجمها ، وقد وقفت على نسخة مخطوطة منها في مكتبة الحرم المكي برقم ٣٤٩٣ .

٣- رسالة مقامية مكية في فضل المقام .

هكذا ورد اسمها على الورقة الأولى من المخطوط ، وسمَّاها صاحب كشف الظنون ١/ ٤٨٣ باسم : « تمكين المقام في المسجد الحرام » ، وهي رسالة واسعة في فضل مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، للشيخ علي دَدَه بن مصطفى البُسْنوي ، المتوفى سنة ١٠٠٧هـ[١] وقد كتبها حين أشرف على تجديد مقام إبراهيم بأمر السلطان مراد خان سنة ١٠٠١هـ .

وتقع الرسالة في ٤٧ ورقة ، في كل صفحة ٢١ سطراً ، وفيها استطرادات كثيرة ، منها على سبيل المثال : أنه ضمَّن فيها كتاباً آخر له وهو : « الأوائل » يقع في ٢٣ ورقة ، يبدأ من لوحة ١٥ إلى ٣٨ من الرسالة .

وتوجد نسخة مخطوطة للكتاب في مكتبة أحمد عارف حكمت بالمدينة المنورة[٢] .

٤- مقام إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هل يجوز تأخيره

---

(١) له ترجمة في الأعلام للزِّرِكْلي ٤/٢٨٧ .

(٢) تفضَّل بصورة منها مشكوراً الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة ، الأستاذ في قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى ، جزاه الله خيراً .

عن موضعه عند الحاجة لتوسيع المطاف ؟ .

للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلِّمي اليماني ، المتوفى سنة ١٣٨٦هـ[١] رحمه الله تعالى ، بيَّن في هذه الرسالة جواز نقل المقام وتأخيره عن موضعه للحاجة ، ووافقه على رأيه الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ المفتي العام للملكة العربية السعودية سابقاً ، المتوفى سنة ١٣٨٩هـ ، وكتب تقريظاً للرسالة .

وقد طَبَعَ الكتاب محمد حامد الفقي في مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٨هـ ، في ٦٣ صفحة من القطع الوسط .

٥- نقض المباني من فتوى اليماني ، وتحقيق المرام فيما تعلق بالمقام .

للشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان ، القاضي في الرياض ومكة وغيرهما ، المتوفى سنة ١٤٠٢ أو ١٤٠٣هـ رحمه الله تعالى .

وهذا الكتاب ردٌّ على المعلّمي في كتابه السابق الذكر ، ويرى فيه ابن حمدان أن موضع المقام توقيفي ، ولايجوز تحويله عن موضعه .

وفي الردِّ شدة واضحة ، لكن مع هذا فيه لفتات علمية جيدة أَخذَها على المعلِّمي رحمهما الله تعالى .

وقد طُبِع الكتاب في مطبعة المدني سنة ١٣٨٣هـ في ١٨٩ صفحة .

٦- نصيحة الإخوان ببيان بعض مافي نقض المباني لابن حمدان من الخَبْط والخلط والجهل والبهتان .

---

(١) له ترجمة في الأعلام للزركلي ٣٤٢/٣ .

للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، المفتي العام السابق للمملكة العربية السعودية ، المتوفى سنة ١٣٨٩هـ[1] رحمه الله تعالى .

وكتابه هذا ردٌّ على ابن حمدان في كتابه السابق الذكر ، كما هو واضح من العنوان ، ويرى فيه المؤلف كما تقدم عنه جوازَ تحويل المقام عن مكانه للحاجة .

وقد طُبِع الكتاب في دار الثقافة بمكة المكرمة ، ضمن مطبوعات دار الإفتاء ، وجاء في ٩٣ صفحة من القطع الوسط .

٧- الجواب المستقيم في جواز نقل مقام إبراهيم .

للشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى ، وهو رسالة في ٤٩ صفحة ، أُلحقت مع ردِّه على ابن حمدان ، وقد خصها لبيان الأدلة على جواز نقل المقام عن مكانه للحاجة .

٨- تحقيق المقال في جواز تحويل المقام .

للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رحمه الله تعالى ، رئيس المحاكم الشرعية بالدوحة في قطر سابقاً .

وكتابه هذا ردٌّ على كتاب ابن حمدان : « نقض المباني » ، ويرى فيه جواز نقل المقام للحاجة ، كما هو واضح من العنوان .

وقد طبع الكتاب في مطابع العروبة بالدوحة ، بدون تاريخ ، في ١٢٥ صفحة من القطع الوسط .

---

(١) له ترجمة في الأعلام للزركلي ٥/٣٠٦ .

٩- سبيل السلام في إبقاء المقام .

للشيخ إبراهيم نياس الكاولخي[1] ، برهن فيه على وجوب إبقاء المقام الكريم في محله الأصلي .

١٠- مقام إبراهيم عليه السلام ، ونبذة عن ترجمة إبراهيم الخليل وتاريخ الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وفضل مكة المكرمة .

للشيخ محمد طاهر الكردي المكي ، المتوفى سنة ١٤٠٠هـ رحمه الله تعالى ، وقد صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة ١٣٦٨هـ في مطبعة البابي الحلبي بالقاهرة ، في ١٦٣ صفحة .

والكتاب كما يظهر من عنوانه شامل لمواضيع عدة ، كان لها الحظ الأوفر من الكتابة ، أما المقام فكان نصيبه قليلاً جداً ، حيث بلغت الصفحات الخاصة به في حدود عشرين صفحة ، مع أن العنوان الرئيسي للكتاب هو : « مقام إبراهيم » ، ولذا اعتذر المؤلف رحمه الله عن هذا في آخر كتابه .

❋ هذا ماوقفت عليه مما كُتِبَ عن الحجر والمقام ، ورحم الله العلماء السابقين واللاحقين ، وأجزل لهم المثوبة ، وجزاهم الله عنا وعن العلم خير الجزاء ، وحفظ الله تعالى علينا علماءَنا ذخراً للإسلام والمسلمين ، وقوَّاهم ونفع بهم العباد والبلاد ، اللهم آمين .

وفيما يلي القسم الأول من الكتاب ، وهو مايتعلق بالحجر الأسود :

---

(١) ذكره الشيخ محمد طاهر الكردي في التاريخ القويم ٤/٥٢ .

فَضْلُ الحَجَرِ الأَسْوَدِ

وذكرُ تاريخه وصفته وخصائصه وما يتعلّق باستلامه
واستلام الركن اليماني من أحكامٍ فقهيّة، وجملةٍ من الأشعار في مدحه



الباب الأول
تاريخ الحجر الأسود والتعريف به

الفصل الأول : تاريخ الحجر الأسود :

روى الأزرقي[1] رحمه الله عن ابن إسحاق في بناء إبراهيم عليه الصلاة والسلام للكعبة المشرفة قال :

« فلما ارتفع البنيان قرَّب له إسماعيلُ المقام ، فكان يقوم عليه ويبني ، ويُحوِّله إسماعيلُ في نواحي البيت ، حتى انتهى إلى موضع الركن الأسود ، قال إبراهيم لإسماعيل : أَبْغِني حجراً أضعه هاهنا يكون للناس عَلَماً يبتدؤن منه الطواف ، فذهب إسماعيل يطلب له حجراً ، ورجع وقد جاءه جبريلُ عليه السلام بالحجر الأسود ، وكان الله عزوجل استودع الركنَ جبلَ أبي قبيس[2] حين غرَّق الله الأرض زمن نوح ، وقال : إذا رأيتَ خليلي يبني بيتي فأخرِجْه له .

قال : فجاءه إسماعيلُ فقال له : ياأبت من أين لك هذا ؟ .

---

(١) أخبار مكة ١/٦٥ ، ونحوه في المستدرك للحاكم ٢/٢٩٢-٢٩٣ ووافقه الذهبي على تصحيحه ، وذكر نحوه أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح ٦/٤٠٦ وسكت عليه .

(٢) وكان الحجر الأسود قد نزل من الجنة كما سيأتي ص ٣٨ .

قال : جاءني به من لم يكِلْني إلى حَجَرِك ، جاء به جبريل .

فلما وضع جبريلُ الحجر في مكانه ، وبنى عليه إبراهيم ، وهو حينئذ يتلألأ تلألؤاً شديداً من شدة بياضه ، فأضاء نورُه شرقاً وغرباً ، ويَمَناً وشَاماً .

قال : فكان نورُه يضيء إلى منتهى أنصاب[1] الحرم من كل ناحية من نواحي الحرم » اهـ .

« ثم انهدم البيتُ فبَنَتْه العمالقة ، ثم انهدم فبَنَتْه قبيلةٌ من جُرْهُم ، ثم انهدم فبَنَتْه قريش ، فلما أرادوا أن يضعوا الحجرَ تنازعوا فيه ، فقالوا : أوَّلُ رجلٍ يدخل علينا من هذا الباب فهو يضعه ، فجاء رسولُ الله ﷺ فأمَرَ بثوبٍ فبُسِط ، ثم وَضَعَه فيه ، ثم قال : ليأخُذْ من كل قبيلةٍ رجلٌ من ناحية الثوب ، ثم رفعوه ، ثم أخذه رسولُ الله ﷺ فوضعه »[2] .

وفي رواية الحاكم في المستدرك : « وإن قريشاً اختلفوا في الحجر حين أرادوا أن يضعوه ، حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف ، فقال : اجعلوا بينكم أَوَّلَ رجلٍ يدخل من الباب ، فدخل رسولُ الله ﷺ فقالوا : هذا الأمين ، وكانوا يُسمُّونه في الجاهلية : الأمين ، فقالوا : يامحمد قد رضينا بك ، فدعا بثوب ... الخ » اهـ .

---

(١) أي حدود الحرم ، وينظر القاموس المحيط (نصب) .

(٢) الأزرقي ٦٢/١ ، المستدرك للحاكم ٤٥٨/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه ، سيرة ابن هشام (مع الروض الأُنُف) ٢٢٧/١ ، دلائل النبوة للبيهقي ٥٧/٢ ، وذكر هذا ابن حجر في الفتح ٤٤٢/٣ وسكت عليه .

❋ وكـان هـذا في يـوم مبـارك هـو يـوم الاثنـين ، فقـد روى الإمـام أحمد[١] وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ولد النبي ﷺ يـوم الاثنين ، واستُنبئ يوم الاثنين ، وتُوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يـوم الاثنـين ، ورَفَـعَ الحجـر الأسود يوم الاثنين » .

❋ وقد اختُلف في أي سنة كان هذا البناء فقيل : قبل بعثة النبي ﷺ بخمس عشرة سنة ، وكان عمره ﷺ خمساً وعشرين سنة ، وقيل : كان البناء وعمره ﷺ خمس وثلاثون سنة ، وهذا هو الأشهر كما قال الحافظ ابن حجر[٢] .

* * * * *

---

(١) المسند ١/٢٧٧ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/١٩٦ : « رواه أحمـد والطـبراني في الكبير ، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح » اهـ أما ابن لهيعة فليس بضعيف ، بل هو صدوق إمام في أول أمره ، ثم حصل له الاختلاط بعد احتراق كتبه التي كان يعتمد على الرواية منهـا ، وكـان ذلـك سـنة ١٦٩ أو سـنة ١٧٠ ، فمَن روى عنه قبل الاختلاط فحديثه مقبول ، ومن روى عنه بعد الاختـلاط ، أو لم يتميَّز حديثه قبل أو بعد : فمردود ضعيف . ينظر تعليقات الأسـتاذ الشـيخ محمـد عوامة على الكاشف للذهبي ١/٥٩٠ .

(٢) فتح الباري ٣/٤٤٢ ، وجزم غيره بـالأول ، ينظـر دلائـل النبـوة للبيهقـي ٢/٥٦ ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٣٢ و ٣٤ .

الفصل الثاني
الحوادث التاريخية
التي أصابت الحجر الأسود

لقد جرى على الحجر الأسود عدة حوادث خلال الأزمنة المتقدمة ، أثَّرت فيه بتصدُّعٍ وتكسُّرٍ ونحو هذا ، « وحَفِظَه الله في كل ذلك ، حتى كان من آيات الحجر وخواصّه : حِفْظُ الله له من الضياع منذ أن هبط إلى آدم عليه السلام إلى ماشاء الله ، مع أنه وقع له أمور تقتضي ذهابه كالطوفان وغيره »[1] ، وهذه بعض الحوادث التي أصابت الحجر مرتبة على سِنِي حدوثها :

١- أصاب البيت الحرام حريقان ، الأول : في عهد قريش قبل الإسلام ، فاحترق الحجر الأسود ، واشتدَّ سواده .

والثاني : في الإسلام ، في عصر عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، حين حاصَرَه الحصينُ بن نُمَيْر الكِنْدي ، فاحترقت الكعبة المشرفة ،

---

(١) العلم المفرد لابن علان (مخطوط) .

واحترق الحجر الأسود ، فتفلّق ثلاث فِلَق ، حتى شدَّ شُعَبَه ابنُ الزبير بالفضة[١] ، فكان ابنُ الزبير أوَّلَ مَنْ رَبَطَ الركنَ الأسود .

٢- وفي عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد ، كانت الفضة التي على الحجر الأسود قد رقَّت وتزعزت عن محلها ، حتى خافوا على الركن أن ينقَضَّ ، فلما اعتمر هارونُ الرشيد عُمْرته سنة ١٨٨ أَمَر بإصلاحه ، وأَمَر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود ، فثُقِبتْ بألماسٍ من فوقها وتحتها ، ثم أُفرغ فيها الفضة ، وهي الفضة التي عليها اليوم[٢] - زمن الأزرقي في حدود سنة ٢٤٠هـ - .

٣- ذكر خبر القرامطة في أخذهم للحجر الأسود :

ثم وقعت سنة ٣١٧هـ حادثة القرامطة في المسجد الحرام ، وهي حادثة مشهورة ، والقرامطة تُنْسَب إلى رجل من سَوَاد الكوفة يقال له : قِرْمِط ، دعا إلى الزندقة والكفر الصريح ، وهم من الباطنية ، وقَتَله المكتفي بالله العباسي سنة ٢٩٣هـ[٣] .

وكان من القرامطة عدوّ الله ملكُ البحرين أبوطاهرٍ القِرْمِطي سليمان ابن أبي سعيد الذي تولى العدوان على بيت الله الحرام ، ففي سنة ٣١٧هـ لم يشعر الناس يوم الاثنين يوم التروية - وقيل : يوم السابع من ذي الحجة - إلا وقد وافاهم عدوُّ الله أبوطاهر القرمطي في تسعمائةٍ من

(١) الأزرقي ١/٦٥ ، الفاكهي ١/١٣٥ .

(٢) الأزرقي ١/٣٤٥ ، الفاكهي ١/١٣٥ .

(٣) ينظر المنتظم لابن الجوزي ٥/١١٠ ، الأعلام للزركلي ٥/١٩٥ .

أصحابه ، فدخلوا المسجدَ الحرام وأسرفَ هو وأصحابُـه في قتـل الحُجَّـاج في الحرم ، ورَدَمَ بهم زمزم ، كما قَتَل غيرَهم في سِكَك مكـة وماحولها زُهَـاء ثلاثين ألفاً ، وفعَل أفعالاً منكرة .

ثم جاء إلى الحجر الأسود ، فضَرَبَه بدَبُّـوس فكَسَره ، ثـم قلعـه بعـد صلاة العصر من يوم الاثنين لأربـع عشـرة ليلـةٍ خَلَـتْ مـن ذي الحجـة ، وانصرف إلى بلده هَجَر (البحرين) وحَمَلَ معه الحجر ، يريـد أن يجعـل الحج عنده ، لكنه خاب وخسر كما خاب قبلَه أبرهة الأشرم .

قيل : إنه هلك في نقل الحجر تحتـه أربعـون جمـلاً ، فلمـا أُعيـد كـان على قَعُود ضعيف فسَمِنَ .

وبقي موضع الحجر الأسود من الكعبة المعظمة خالياً ، يضع الناس فيه أيديهم للتبرُّك ، إلى حين رُدَّ إلى موضعه من الكعبة المشرفة ، وذلـك يـوم الثلاثاء يوم النحر من سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمائـة ، وذلـك بعـد أن هلـك أبوطاهر القِرْمِطي سنة ٣٣٢هـ ، فردَّه سَنْبَر بن الحسن القرمطي ، حيـث وافى به مكة ، فأظهره بفِناء الكعبة ، ومعه أمير مكة ، وكان على الحجر ضَبَّات فضة قد عُمِلت عليه من طوله وعرضـه ، تضبـط شـقوقاً حَدَثَـت عليه بعد قلعه ، وأَحضر معه جَصّاً يُشدُّ به ، فوضع سَنْبَر القرمطي الحجر بيده ، وشدَّه الصانع بالجصّ ، وقال سـنبر لما ردَّه : أخذنـاه بقـدرة الله ، ورددْناه بمشيئة الله .

ونظر الناس إلى الحجر ، فتبيَّنوه وقبَّلوه واستلموه وحَمِدُوا الله تعالى .

وكان مدة كينونته عند القرمطي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة إلا أربعة أيام[١] .

٤- **حادثة** بفعل رجل نصراني من أهل الروم سنة ٣٦٣هـ :

ذكر ابن فهد المكي في كتابه : «إتحاف الورى بأخبار أم القرى»[٢] في حوادث سنة ٣٦٣هـ قال :

« بينما الناس في وقت القيلولة وشدة الحرِّ ، ومايطوف إلا رجل أو رجلان ، فإذا رجل عليه طِمْران – ثوبان قديمان – مشتمل على رأسه ببُرْد – كساء – يسير رُوَيْداً ، حتى إذا دنا من الركن الأسود ، ولايُعلم مايُريد ، فأخذ مِعْوَلاً وضرب الركن ضربة شديدة حتى خَفَتَه الخَفْتَةَ التي فيه ، ثم رفع يده ثانياً يريد ضربه ، فابتدره رجل من السكاسك من أهل اليمن ، حين رآه وهو يطوف ، فطَعَنَه طعنةً عظيمة بالخَنْجَر حتى أسقطه ، فأقبل الناس من نواحي المسجد فنظروه ، فإذا هو رجل رومي جاء من أرض الروم ، وقد جُعِلَ له مال كثير على ذهاب الركن ، ومعه مِعْوَل عظيم قد حُدِّد ، وذُكر بالذُّكور – أي صُيِّر فولاذاً صُلباً – وقُتِلَ الذي أراد ذهاب الركن ، وكفى الله شرَّه .

قال : فأُخرج من المسجد الحرام ، وجُمِعَ حَطَب كثير فأُحرق في النار » اهـ .

---

(١) ينظر المنتظم لابن الجوزي ٢٢٢/٦ ، فوات الوفيات ٦٠/٢ ، سير أعلام النبلاء ٣٢٠/١٥ ، شفاء الغرام ١٩٣/١ ، إتحاف الورى ٣٧٧/٢ و ٣٩٥ .

(٢) ٤١٠/٢ .

٥- حادثة على الحجر الأسود سنة ٤١٣هـ :

قال ابن فهد المكي رحمه الله في حوادث سنة ٤١٣هـ :

« وفيها على ماقاله الذهبي وابن الجوزي ، وفي التي بعدها على ماقاله ابن الأثير ، في يوم الجمعة يوم النَّفْر الأول ، ولم يكن رجع الناس بعدُ من مِنى ، عَمَد بعض الملحدة الذين استغواهم الحاكم العُبَيْدي في مصر ، وأفسد ديانتهم ، وهو تام القامة جسيماً طويلاً ، وبإحدى يديه سيف مسلول ، وبالأخرى دبُّوس ، بعدما فرغ الإمام من الصلاة ، فَقَصَدَ الحجر الأسود كأنه يستلمه ، فضرب وجه الحجر ثلاث ضربات متوالية بالدبوس ، فتنخَّش وجه الحجر في وسطه ، وتقشَّر من تلك الضربات ، وتساقطت منه ثلاث شظايا ، واحدة فوق الأخرى ، فكأنه ثُقِبَ ثلاثة ثقوب ، ماتدخل الأنملة في كل ثقب ، وتساقطت منه شظايا مثل الأظفار ، وصارت فيه شقوق يميناً وشمالاً ، وخرج مَكْسَرُه أسمر يضرب إلى صُفْرة .

وقال : إلى متى يُعبد الحجر الأسود ؟ ولامحمد ولاعلي يمنعني عما أفعله ، فإني أريد اليوم أن أهدم هذا البيت وأرفعَه .

فاتَّقاه أكثر الحاضرين ، وخافوه وتراجعوا عنه ، وكاد أن يفلت ، وكان على باب المسجد عشرة من الفرسان على أن ينصروه ، فاحتسب رجلٌ من أهل اليمن أو من مكة أو من غيرها ، وثار به فوَجَأَه بخَنْجَر ، واحتوَشَه الناسُ فقتلوه ، ثم تكاثروا عليه فقطَّعوه وأحرقوه بالنار .

وقُتِل جماعة ممن اتُّهم بمصاحبته ومعاونته على ذلك المنكر ، وأحرقوهم بالنار ، وكان الظاهر منهم أكثر من عشرين ، غير ماختفى منهم .

وأقام الحجر الأسود على ذلك يومين ، ثم إن بعض بني شيبة جمعوا ماوجدوا مما سقط منه ، وعجنوه بالمسك واللَّكِّ – صِبْغ أحمر – وحُشِيَت الشقوق »[1] اهـ .

٦- حادثة أخرى على الحجر الأسود سنة ٩٩٠هـ :

ذكر الإمام ابن عَلَّان في كتابه : « العلم المفرد في فضل الحجر الأسود »[2] :

أنه في عشر التسعين وتسعمائة جاء رجل عراقي أعجمي ، وكان منجذباً ، فضرب الحجر الأسود بدبوس في يده ، وكان عند البيت الأمير ناصر جاوش حاضراً ، فوَجَأَ ذلك العجمي بالخَنْجَر فقتله . اهـ .

٧- حادثة على الحجر الأسود سنة ١٣٥١هـ :

قال الشيخ حسين باسلامة المتوفى سنة ١٣٥٦هـ رحمه الله تعالى :

« ومما هو جدير بالذكر ماوقع في عصرنا الحاضر في آخر شهر محرم سنة ١٣٥١هـ ، وذلك أنه جاء رجل فارسي من بلاد الأفغان ، فاقتلع قطعة من الحجر الأسود ، وسرق قطعة من ستارة الكعبة ، وقطعة من فضة من مَدْرَج الكعبة الذي هو بين بئر زمزم وباب بني شيبة ، ، فشَعَر

---

(١) إتحاف الورى ٤٤٨/٢ ، شفاء الغرام ١٩٤/١ .

(٢) مخطوط ، وينظر تاريخ الكعبة المشرفة لباسلامة ص ١٥٧ .

به حرسُ المسجد فاعتقلوه ، ثم أُعدم عقوبة له ، كما أُعدم من تجرّأ قبله على الحجر الأسود بقلعٍ أو تكسير أو سرقة .

ثم لما كان يوم ٢٨ من ربيع الثاني من سنة ١٣٥١هـ حضر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمه الله من مَصِيْفه بالطائف قبل توجهه إلى الرياض ، وحضر بعض الأعيان ، وعمل الأخصائيون مُرَكَّباً كيمائياً مضافاً إليه المِسْك والعنبر ، لتثبيت تلك القطعة ، وأعادوها إلى محلها »[١] اهـ .

❊ وقد عُمِلَ عدة أطواق حول الحجر الأسود خلال الأزمنة السابقة ، كان آخرها في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ١٣٧٥هـ قبيل المغرب ، حيث وَضَع الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - طوقاً جديداً من الفضة الخالصة على الحجر الأسود ، وكان الشيخ محمد طاهر الكردي واقفاً بجواره ممسكاً بالطوق الجديد لتثبيته على الركن الأسود ، بعد أن قُلِعَ الطوق الفضي القديم الذي كان وَضَعه السلطان محمد رشاد خان سنة ١٣٣١هـ[٢] .

* * * * *

---

(١) تاريخ الكعبة المشرفة ص ١٥٨ .

(٢) ينظر التاريخ القويم للكردي ٣/٣٢٩ .

الفصل الثالث
التعريف بالحجر الأسود
وذكــر صفـته ولـونه وقيــاسـه

الحجر الأسود حجر نزل من الجنة ، كمـا سيأتي في الأحـاديث عـن النبي ﷺ ، وهو مُودَع - بأمر الله لنبيه إبراهيم الخليل - في ركن الكعبـة المشرفة الذي يُبتدأ منه الطواف ، وهو الركن الجنوبي الشرقي من الكعبـة المشرفة ، وقد سُمِّي هذا الحجر في الحديث بـ (الركن) .

أما **لونـه** فكـان أبيـض مـن الثلـج ومـن اللَّبـن ، لكـن سـوَّدَتْه خطايـا المشركين ، وهو بقدر ذراع كما ورد في الأثر « عن عبـد الله بـن عمـرو ابن العاص رضي الله عنهما قال : كان الحجر الأسود أبيـض مـن اللـبن ، وكان طوله كعظم الذراع »[1] ، وهو مغروس في بناء الكعبـة ، ولايظهـر منه إلا رأسه الذي اسودّ من خطايا المشركين ، أما ماغُرس في بناء الكعبة المشرفة فلونه أبيض .

روى الفاكهي[2] « عن مجاهد قال : نظرت إلى الركن حين نَقَضَ ابنُ الزبير البيت ، فإذا كل شيء منه داخل البيت أبيض » .

---

(١) الأزرقي ٣٢٨/١ .

(٢) ٩٢/١ .

« وقال محمد بن نافع الخزاعي حينَ ردَّ القرامطة الحجر الأسود سنة ٣٣٩هـ فعاينه قبل وَضْعه في محله وقال : تأملتُ الحجر الأسود وهو مقلوع ، فإذا السواد في رأسه فقط ، وسائره أبيض ، وطوله قدر ذراع »[1] .

وقال الحلبي في سيرته[2] « وقد اشتد سواد الحجر الذي سوَّدَتْه خطايا المشركين بسبب الحريق الذي حصل أولاً زمن قريش ، وثانياً زمن ابن الزبير رضي الله عنهما » .

* وحين هُدِمت الكعبة المشرفة سنة ١٠٣٩هـ بسبب سيل عظيم ، وقاموا بعمارتها كان ممن حضرها الإمام ابن عَلاَّن المكي ، وقد سجَّل مراحل عمارتها ووصف ذلك بالتفصيل ، ومماقاله رحمه الله عن الحجر الأسود وقد شاهده بالمعاينة :

« ولون مايستتر من الحجر الأسود بالعمارة في قدر الكعبة أبيض بياض حَجَر المقام ، وذَرْعُ طوله نصف ذراع بذراع العمل ، وذلك شبر ونصف ، وهو طول ذراع غالب الناس ، وعَرْضُه ثُلُث ذراع ، ونَقَصَ منه قيراط في بعضه ، وسُمْكه أربعة قراريط ، وعليه سُيُور من فضة .

وقال رحمه الله أيضاً : إن عدة فِلَق الحجر نحو ثلاثة عشر ، الكبار منها أربعة ، والباقيات صغار بالنسبة إليها ، وقد عُمِل مركَّب يلصق به ماتفرَّق عنه من أجزائه »[3] اهـ .

---

(١) الإشاعة في أشراط الساعة ص ٥٧ .

(٢) السيرة الحلبية (إنسان العيون) ١٥٧/١ .

(٣) العلم المفرد (مخطوط) ، التاريخ القويم ٢٢٠/٣ و ٢٢٨ نقلاً عن ابن علان .

❋ وقال المؤرّخ محمد طاهر الكردي المتوفى سنة ١٤٠٠هـ رحمه الله تعالى :

« والذي يظهر من الحجر الأسود الآن في زماننا - منتصف القرن الرابع عشر الهجري - ونستلمه ونقبِّله ثماني قطع صغار مختلفة الحجم ، أكبرها بقَدْر التمرة الواحدة ، كانت قد تساقطت منه حين الاعتداءات عليه من بعض الجهَّال والمعتدين في الأزمان السابقة .

وقد كان عدد القطع الظاهرة منه خمس عشر قطعة ، وذلك منذ خمسين سنة ، أي أوائل القرن الرابع عشر للهجرة ، ثم نَقَصَت هذه القطع بسبب الإصلاحات التي تحْدُث في إطار الحجر الأسود ، فما صَغُر ورقَّ عُجِنَ بالشمع والمِسك والعنبر ، ووُضِع أيضاً على الحجر الكريم نفسه »[1] اهـ .

❋ **تنبيه :**

وعلى هذا فما هو داخل الإطار الفضي للحجر الأسود الآن ، غالبه ليس من الحجر الأسود ، إنما الحجر هو بطول ذراع مغروس في بناء الكعبة المشرفة كما تقدم ، ورأسه الأسود تفتَّت خلال هذه الأزمنة ، فمابقي من رأسه وهي القطع الثمانية التي ذكرها المؤرخ الشيخ محمد طاهر الكردي رحمه الله ، عُجِن لها معجون أسود ، ووُضعت هذه الثمانية في وسط هذا المعجون داخل الإطار الفضي ، فمن أراد تقبيل الحجر الأسود فلْيَلْحظ هذه القطع في وسط هذا المعجون ، وهذا ماغاب

(١) التاريخ القويم ٢٩٤/٣ .

عن كثير من الناس ، حيث يظنون أن ماهو داخل الإطار الفضي كله من الحجر الأسود ، وحقيقة الأمر ماتقدم .

❋ **حكمة** اسوداد الحجر بالخطايا ، وعدم زوال سواده بالحسنات :

قال المحب الطبري :

« قد اعترض بعض الملحدة فقال : كيف يُسوِّدُ الحجرَ خطايا أهلِ الشرك ، ولايبيِّضُه توحيد أهلِ الإيمان ؟ .

والجواب عنه من ثلاثة أوجه :

الأول : ماتضمَّنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما : أن الله عزَّ وجلَّ إنما طَمَس نورَه ليَستُر زينته عن الظَّلَمة »[1] ، وكأنه لما تغيرت صفته التي كانت كالزينة له بالسواد ، كان ذلك السواد له كالحِجاب المانع من الرؤية وإن رُئي جِرْمه ، إذ يجوز أن يُطْلَق عليه أنه غير مرئي ، كما يُطلَق على المرأة المستترة بثوب أنها غير مرئية .

الثاني : لو شاء الله لكان ذلك ، وماعلمتَ أيها المعترض أن الله تعالى أجرى العادة بأن السواد يَصْبِغُ ولايَنْصَبِغُ ، والبياضُ يَنْصَبِغُ ولايَصْبِغ[2] .

الثالث : أن يقال : بقاؤه أسود - والله أعلم - إنما كان للاعتبار ، ليُعلم أن الخطايا إذا أثَّرت في الحجر ، فتأثيرها في القلوب أعظم »[3] .

* * * * *

---

(١) كما سيأتي ص٤٠ ، وقد ضعَّفه الحافظ ابن حجر .

(٢) وهو تعليل ضعيف .

(٣) القِرى ص٢٩٥ ، وينظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٩٥ .

الباب الثاني
فضائل الحجر الأسود

١- الحجر الأسود يمين الله في الأرض يصافح بها عباده :

روى الأزرقي وابنُ أبي عمر بإسناد صحيح[١] « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن هذا الركن يمين الله في الأرض يصافح بها عباده مصافحةَ الرجل أخاه » .

وهذا الموقوف عن ابن عباس رضي الله عنهما له حكم المرفوع ، حيث لامجال فيه للرأي والاجتهاد .

وله أيضاً شواهد منها :

١- عن حُميد بن أبي سويّة رضي الله عنه قال : سمعت ابن هشام

---

(١) أخبار مكة للأزرقي ٣٢٤/١ من طريق يحيى بن سليم المكي ، وقد اختلف في توثيقه ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤١٨/٤ : والتحقيق أن الكلام في يحيى إنما وقع في روايته عن عبيد الله بن عمر خاصة ، وهذا الحديث من غير روايته . اهـ وينظر حواشي الكاشف للذهبي ٣٦٧/٢ ، المطالب العالية لابن حجر ٣٣٩/١ وقال الحافظ ابن حجر : هذا موقوف جيد ، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (مخطوط) : إسناده صحيح ، كما نقل عنه هذا الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تعليقه على المطالب العالية .

يسأل عطاء بن أبي رباح عن الركن اليماني وهو يطوف بـالبيت ، فقـال عطاء : حدثني أبوهريرة رضـي الله عنـه أن النبي ﷺ قـال : « وُكِّـلَ بـه سبعون مَلَكاً فمن قال : اللهم إني أسألك العفو والعـافية في الدنيا والآخـرة ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . قالوا : آمين .

فلما بلـغ الركـن الأسـود قـال : ياأبـا محمـد مـابَلَغَك في هـذا الركـن الأسود ؟ فقال عطاء : حدثني أبو هريرة أنه سمع رسـول الله ﷺ يقـول : « مَن فاوَضَه فإنما يفاوض يد الرحمن ... » الحديث[١] .

٢- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يأتي الركنُ يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيْس ، له لسان وشفتان يتكلـم عمَّن استلمه بالنيَّة ، وهو يمين الله يصافح بها خلقَه »[٢] .

---

(١) رواه ابن ماجه عن إسماعيل بن عياش ، حدثنا حُميـد بـن أبي سـوية ، المناسـك ، بـاب فضل الطواف ٢/٩٨٥ قال المنذري في الترغيب والترهيب ٢/١٩٢ : حسَّنَه بعض مشايخنا .

(٢) صحيح ابن خزيمة ٤/ ٢٢١ ، المستدرك ١/٤٥٧ وتعقبـه الذهبي في تلخيصـه بـأن فيه عبد الله بن المؤمل واهٍ ، وضعَّفَه البيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٢٠ .

والتضعيف بابن المؤمل هنا فيه نظر ، فقد وثَّقه ابن حبان في الثقات ٧/٢٨ ، وقـال عنـه الحافظ ابن حجر : هو ممن يُعتبر حديثه ، ففي جزئـه عـن حديـث زمـزم ص١٨٤ قال : « عبد الله بن المؤمل ممن يُعتبر حديثه ، فإذا جـاء الحديـث الـذي يرويـه مـن غـير طريقه اعتضد بروايته ، وصار حَسَناً على رأي الترمذي ومَن تابعه » اهـ .

وقد جاء الحديث من غير طريقه كما تقدم من طريق حميد بن أبـي سـوية ، وعلـى هـذا لايكون الحديث ضعيفاً ، وبخاصة مع ماتقدم من صحة الموقوف عـن ابـن عبـاس رضـي الله عنهما ، ومع الشواهد الأخرى للحديث .

٢- الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة :

١- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرُّكن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، ولولا أن الله طَمَس على نورهما لأضاءتا مابين المشرق والمغرب »[١] .

والركن هو الحجر الأسود ، والمقام هو مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

٢- وفي رواية للبيهقي[٢] :

« ولولا مامسَّهما من خطايا بني آدم لأضاءا مابين المشرق والمغرب ، وما مسَّهما من ذي عاهة ولاسقيم إلا شُفي » .

٣- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

« إن الركن والمقام من الجنة »[٣] .

---

(١) صحيح ابن حبان (الإحسان) ٢٤/٩ ، صحيح ابن خزيمة ٢١٩/٤ ، سنن الترمذي ، الحج ، باب ماجاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام ٢٢٦/٣ ، المستدرك للحاكم ٤٥٦/١ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧٥/٥ ، مصنف عبد الرزاق ٣٩/٥ ، الأزرقي ٢٩/٢ ، الفاكهي ٤٤٠/١ .

قال الإمام النووي رحمه الله في المجموع ٣٦/٨ : « رواه البيهقي بإسناد صحيح على شرط مسلم » .

(٢) السنن الكبرى ٧٥/٥ ، وقال النووي في المجموع ٣٦/٨ إسناده صحيح .

(٣) الأزرقي ٣٢٢/١ و ٢٩/٢ وتقدم في الحديث السابق مرفوعاً ، وهذا الموقوف له حكم الرفع .

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام ، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ، ولولا مامسَّهما من أهل الشرك : مامسَّهما ذو عاهة إلا شفاه الله »[1] .

٣- نزول الحجر الأسود من الجنة ، وله نور عظيم ، ثم عَوده إليها :

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« نزل الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشدُّ بياضاً من اللَّبَن ، فسوَّدَته خطايا بني آدم »[2] .

٢- وفي لفظ للإمام أحمد في المسند[3] :

« نزل الحجر الأسود من الجنة ، فكان أشدَّ بياضاً من الثلج ، حتى سوَّدَتْه خطايا أهل الشرك » .

وفي لفظ : « لأشدُّ بياضاً من الفضَّة »[4] .

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

« نزل جبريل عليه السلام بهذا الحجر - الأسود - من الجنة ،

---

(١) الأزرقي ٣٢٢/١ و ٢٩/٢ وأيضاً له حكم الرفع .

(٢) سنن الترمذي ، الحج ، باب فضل الحجر الأسود ٢٢٦/٣ وقال : حديث حسن صحيح ، صحيح ابن خزيمة ٢٢٠/٤ .

(٣) ٣٠٧/١ و ٣٢٩ و ٣٧٣ .

(٤) الأزرقي ٣٢٢/١ ، الفاكهي ٨٩/١ .

فتمتَّعوا به ، فإنكم لاتزالون بخير مادام بين أظهركم ، فإنه يوشك أن يأتي يوم فيرجع به من حيث جاء به »[(١)] .

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، وإليها يصيران ، ولولا مامسَّ هذا الركن من الأنجاس ، لأبرأ الأكمه والأبرص »[(٢)] .

والأكمه هو الأعمى .

٥- وأيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، نزلا من السماء لهما نور ، فلما وُضِعا في الأرض طفئ نورهما ، ولولا ماأطفأ الله من نورهما لأضاءا مابين السماء والأرض ، آنَسَ الله تعالى بهما آدم عليه السلام ، فكانا يتلألآن تلألؤاً من شدة بياضهما .

وأخَذَ آدم الركنَ فضمَّه إليه استئناساً به ، ولولا ماطَبَعَ الله عزوجل من أيدي الجاهلية ، لأبرأ الأكمه والأبرص »[(٣)] .

٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « نزل الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نزل بين الركن والمقام ، فلما أصبح رأى الركن

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٣ : « رواه الطبراني في الكبير ، ورجاله رجال الصحيح » اهـ وينظر الأزرقي ٦٣/١-٦٤ و ٣٢٥ ، والفاكهي ٩١/١ .

(٢) الفاكهي ٤٤٤/١ وله حكم الرفع .

(٣) الفاكهي ٤٤٤/١ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٩/١ للأزرقي والجندي في أخبار مكة .

والمقام فعَرَفَهما ، فضمَّهما إليه وأَنِسَ بهما »[١] .

٧- وفي رواية[٢] عن مجاهد قال : ذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، نـزلا فوُضِعَا على الصفا ، فأضـاء نورهمـا لأهـل الأرض مـابين المشـرق والمغـرب كمـا يضيء المصباح في الليل المظلم ، يُؤنِس الرَّوْعة ، ويُستأنس إليه .

ولَيُبْعَثَنَّ الركن والمقام وهما في العِظَم مثل أبي قبيـس ، يشـهدان لمـن وافاهما بالوفاء ، فرفَعَ الله تعالى النّور عنهما ، وغَيَّر حُسْنَهما ، فوَضَعهما حيث هما » .

٨- وعن وهب بن مُنَبِّه أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أخبره أن النبي ﷺ قال لعائشة وهي تطوف معه بالكعبة حين استلم الركن :

« لولا ماطُبِع على هذا الحجر ياعائشة من أرجاس الجاهلية وأنجاسـها إذاً لاستُشفي به من كل عاهة ، وإذاً لأُلفـي اليـوم كهيئتـه يـوم أنزلـه الله عزوجل ، ولَيُعيدَنَّه إلى ماخَلَقَه أول مرة ، وإنه لياقوتة بيضاء مـن يواقيـت الجنة ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى غَيَّره بمعصية العاصين ، وسَتَر زينَتَـه عـن الظَّلَمَة والأَثَمَة ، لأنه لاينـبغي لهـم أن ينظـروا إلى شـيء كـان بَـدْؤه مـن الجنة »[٣] .

---

(١) الأزرقي ٣٢٥/١ .

(٢) الأزرقي ٣٢٦/١ ، الفاكهي ٩٤/١ .

(٣) الأزرقي ٣٢٢/١ ، الفاكهي ٩٤/١ ، وضعَّف إسناده ابن حجر في الفتح ٤٦٢/٣ .

تنبـيه :

ماورد في النصوص السابقة من أن الحجر الأسود ياقوتة مـن يواقيـت الجنة ، وأنه نزل منها ، فهي على ظاهرها ، حيث إن الأصل في الإطـلاق الحقيقة[١] ، لاسيما أن تتمة النص تؤيّد هذا ، وهو أن الحجر يعود ويصـير إلى الجنة من حيـث جـاء ، « فهـو مـن الجنـة في الأصـل ، فلمـا جُعِـل في الأرض اقتضت الحِكمة - الإلهية - أن يُراعى فيـه حُكـم نشـأة الأرض ، فطُمِسَ نورُه »[٢] .

٤- زيادة شرف الحجر الأسود بتقبيل النبي ﷺ له :

إن للحجر الأسود من الشرف العظيم ، والمجد القديـم ، ماخصَّـه الله تعالى به دون سائر الأحجار ، وقد تقـدم شـيء مـن ذلـك في الأحـاديث النبوية السابقة الذكر ، وهـو أيضـاً في محـل التشـريف والتعظيـم في ركـن بيت الله العظيم ، الذي بُني على قواعد إبراهيـم عليـه الصـلاة والسـلام . إلى غير ذلك من الفضائل كما سيأتي .

ومما زاده شرفاً وفخراً فـوق ذلـك كلـه تقبيـلُ رسـول الله ﷺ لـه ، وذلك حين طاف بالبيت العتيق مستلماً له .

« وإن في تقبيل المسلمين واستلامهم للحجـر الأسـود نقطـة دقيقـة ، وهي أن تقع أفواههم موضعَ فمِ رسول الله ﷺ ، وفمِ الأنبياء الذين قَبْلـه عليهم الصلاة والسلام ، وأن تلمس أيديهم مالمسته أيديهـم الشـريفة مـن

---

(١) ينظر وفاء الوفا للسمهودي ٤٣٣/١ ، العلم المفرد (مخطوط) لابن عَلاّن .

(٢) حجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي ٦٥/٢ .

هذا الحجـر المكرَّم ، وأيُّ مسـلم إذا خطـرت ببالـه هـذه النقطـة لايبـادر بتقبيله واستلامه !! »[١] .

❋ قال الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء[٢] :

« وقبِّل حجراً مكرَّماً نَزَل من الجنة ، وضَعْ فَمَـك لاثِمـاً مكانـاً قبَّلـه سيدُ البشر ﷺ بيقين ، فهنأك الله بما أعطاك ، فما فوق ذلك مَفْخر ، ولو ظَفِرْنا بالمِحْجن الذي أشار به رسول الله ﷺ إلى الحجر ثم قبَّل مِحْجَنه ، لَحُقَّ لنا أن نزدحم على ذلـك المحجـن بـالتقبيل والتبجيـل ، ونحـن نـدري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونَعْله .

وقد كان ثابت البُنَـاني إذا رأى أنـسَ بـن مـالك أخـذ يـدَه فقبَّلهـا ، ويقول : يدٌ مسَّت يدَ رسول الله ﷺ .

فنقول نحن إذ فاتنا ذلك : حَجَرٌ معظـمٌ بمنزلـة يمـين الله في الأرض ، مسَّته شفتا نبيِّنا ﷺ لاثماً له ، فإذا فاتك الحج ، وتلقَّيْـتَ الوفـد ، فـالتزم الحاجَّ وقبِّـل فمَه ، وقُلْ : فَمٌ مـسَّ بالتقبيل حجراً قبَّله خليلي ﷺ » اهـ .

❋ وقال الإمام عز الدين بن جماعة رحمه الله :

« وإذا أراد الإنسان أن يقبِّـل الموضعَ الذي قبَّله رسولُ الله ﷺ بيقـين ، فَلْيَسْتَوْعِب الحجر بالتقبيل إن أمكنه ، وقد استوعبتُه مرَّات بفضل الله »[٣] .

❋وفي هذا المعنى يقول شـاعر الإنسـانية المؤمنـة الأسـتاذ عمـر بهـاء

---

(١) التاريخ القويم للكردي ٣/٢٩٩ .

(٢) ٤/٤٢ .

(٣) هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك ٢/٨٢١ .

الدين الأميري رحمه الله ، المتوفى أواخر شوال سنة ١٤١٢ في قصيدة جميلة :

الحَجَرُ الأسودُ قبَّلْتُه ... بشَفَتَيْ قلبي وكُلِّي ولَهْ
لاَ لاِعتقادي أنّه نافعٌ ... بل لهُيامي بالذي قبَّلَهْ
محمدٌ أَطْهَرُ أنفاسِهِ ... كانت على صَفْحَتِه مُرْسَلَهْ
قبَّله والنُّور مِن ثَغْرِهِ ... يُشرِقُ آياتِ هُدَى مُنْزَلَهْ
قبَّلْتُ ماقبَّلَه ثغرُهُ النَّا ... طِقُ بالوحي ابْتِغَاءَ الصِّلَهْ

ومأأجمل قول الأميري رحمه الله : « ابتغاء الصلة » ، ففي تقبيل الحجر الأسود صلةٌ وسندٌ عالٍ متَّصلٌ بسيدنا رسول الله ﷺ بدون واسطة ، مُسَلْسَل بتقبيل هذا الحجر المكرَّم ، ومتَّصل بالأنبياء الكرام والصحابة العِظام ، ومَن تبعهم من العلماء والصالحين ، ووَفْد الله وضيوفه من الحُجَّاج والعُمَّار ، نسأل الله تعالى أن يُكْرِمنا بماهو أهله .

✽ « وهذا الأديب ابنُ نُباتة - محمد بن محمد ت ٧٦٨هـ - يَذْكُرُ في قصيدةٍ مَدَحَ في أولها الكعبةَ المشرفة ، ثم استخلص لمدح النبي ﷺ فقال عن الحجر الأسود :

أَلَمْ تَرَ خالَها المُسْوَدَّ أَضْحى ... يفوقُ على الصباح المستطِيرِ
تُقبِّله الطوائف طائفات ... فيا شَرَفَ المباسم والثُّغُورِ
تكوَّن دُرَّةً بيضاء لكن ... تسوَّدَ من ذُنوبِ أولي القصُورِ
أُقبِّلُهُ لعلَّ فَمِي يُلاقي ... مكاناً فاز بالهادي البَشيرِ
محمدِ الذي سادَ البَرَايا ... وأخْجَلَ طَلْعَةَ القمر المُنِيرِ[1] »

---

(١) العلم المفرد لابن علاّن (مخطوط) .

٥- مسح الحجر الأسود مكفّر للخطايا :

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : « إن ابن عمر كان يزاحم على الرُّكْنين - الأسود واليماني - زحاماً مارأيتُ أحداً من أصحاب النبي ﷺ يفعله ، فقلت : ياأبا عبد الرحمن إنك تزاحم على الرُّكْنين زحاماً مارأيت أحداً من أصحاب النبي ﷺ يزاحم عليه ؟ .

فقال : إن أفعلْ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ مسحَهما كفَّارةٌ للخطايا » .

وسمعتُه يقول : «مَن طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعِتق رَقَبة» .

وسمعته يقول : «لايضع قدماً ولايرفع أخرى إلا حَطَّ الله عنه خطيئة ، وكَتَبَ له بها حسنة »[(١)] .

وفي لفظ النسائي : « إن مسحهما يحطّان الخطيئة » .

٦- إتيان الحجر الأسود يوم القيامة مثل جبل أُحُد ، وشهادته لمن استلمه بحق :

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لهذا الحجر لساناً وشَفَتَين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق »[(٢)] .

---

(١) سنن الترمذي ، الحج ، باب ماجاء في استلام الركنين ٢٩٢/٣ وقال : حديث حسن ، سنن النسائي ، المناسك ، باب ذكر الفضل في الطواف ٢٢١/٥ ، صحيح ابن خزيمة ٢١٨/٤ ، صحيح ابن حبان (الإحسان) ١٢/٩ ، مسند أحمد ٩٥/٢ .

(٢) صحيح ابن خزيمة ٢٢١/٤ ، صحيح ابن حبان (الإحسان) ٢٥/٩ ، سنن ابن ماجه ، المناسك ، باب استلام الحجر ٩٨٢/٢ ، المستدرك للحاكم ٤٥٧/١ ووافقه

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «الحجر الأسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وإنما سوَّدته خطايا المشركين، يُبْعَث يوم القيامة مِثْل أُحُدٍ، يشهد لمن استلمه وقبَّله من أهل الدنيا»[1].

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«ليس في الأرض شيء من الجنة إلا الركن والمقام، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة، يأتي كل واحد منهما يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيْس، لهما عينان وشفتان يشهدان لمن وافاهما بالوفاء»[2].

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَيُبْعَثَنَّ الركن والمقام وهما في العِظَم مثل أبي قُبيس، يشهدان لمن وافاهما بالوفاء، فرفع الله تعالى النور عنهما، وغيَّر حسنهما فَوَضَعَهُما حيث هما»[3].

٧- من مواطن إجابة الدعاء عند الحجر الأسود:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «على الركن اليماني مَلَكان

الذهبي على تصحيحه، مسند الإمام أحمد ٢٢٦/١، قال الإمام النووي رحمه الله: رواه البيهقي بإسناد صحيح على شرط مسلم، كما في المجموع ٣٦/٨، وقوَّاه بشواهده الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٦٢/٣.

(١) صحيح ابن خزيمة ٢٢٠/٤، سنن الترمذي، الحج، باب ماجاء في الحجر الأسود ٢٩٤/٣، وقال: حديث حسن، سنن الدارمي ٤٢/٢.

(٢) الفاكهي ٤٤٤/١ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٩/١ للأزرقي والجندي في أخبار مكة، وهو موقوف لكن له حكم الرفع.

(٣) الفاكهي ٩٤/١، الأزرقي ٣٢٦/١ وهو في حكم المرفوع.

يؤمِّنان على دعاء مَن مرَّ بهما ، وإن على الحجر الأسود مالأيُحصى »[١] .

٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« إن الركن يمين الله عز وجل في الأرض ، يصافح بها خلقه ، والذي نفس ابن عباسٍ بيده ، مامن امرئ مسلم يسأل الله عز وجل شيئاً عنده إلا أعطاه إياه »[٢] .

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« من استلم هذا الركن ثم دعا استُجيب له ، قيل لابن عباس : وإنْ أسرع ؟ قال : وإن كان أسرع من البرق الخاطف »[٣] .

٨- ازدحام الملائكة الكرام على تقبيل الحجر الأسود :

عن وهب بن مُنبِّه عن ابن عباس رضي الله عنهما «أن جبريل عليه السلام وَقَفَ على رسول الله ﷺ ، وعليه عِصَابة حمراء قد علاها الغُبَار ، فقال له رسول الله ﷺ : ماهذا الغبار أرى على عِصابتك أيها الروح الأمين ؟ .

قال : إني زُرْتُ البيتَ ، فازدَحَمت الملائكة على الركن ، فهذا الغُبَار الذي ترى مما تُثير بأجنحتها »[٤] .

وتقدَّم قبل قليل أن مالا يُحْصَى من الملائكة عند الحجر الأسود يُؤمِّنون على دعاء الداعين عنده .

---

(١) الأزرقي ٣٤١/١ ، ومثل هذا لايقال إلا عن توقيف ، فله حكم الرفع .

(٢) الأزرقي ٣٢٤/١،٣٢٦ ، وله حكم الرفع أيضاً .

(٣) مصنف عبد الرزاق ٣٠/٥ ، الفاكهي ١٠٤/١ ، الأزرقي ٣٤٨/١ .

(٤) الأزرقي ٣٥/١ وذكره من طريقين إحداهما عن عبد الرزاق ، وكلتاهما عن وهب .

٩- عند الحجر الأسود تُسكب العَبَرات :

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « استقبل النبي ﷺ الحجر ، ثم وَضَع شفَتَيْه عليه يبكي طويلاً ، ثم التفت فإذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال : ياعمر هاهنا تُسْكَب العَبَرات »[1] .

٢- وروى الحاكم في المستدرك[2] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال :

« دَخَلْنا مكة عند ارتفاع الضحى ، فأتى النبيُّ ﷺ بابَ المسجد فأناخ راحلته، ثم دخل المسجد ، فبدأ بالحجر فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء... » .

فهو موطن تُسكب عنده العبرات ، وتذهب الحسرات ، وتُجاب الدعوات ، وتُقَال العَثَرات بإذن رب الأرض والسموات .

* * * * *

---

(١) سنن ابن ماجه ، المناسك ، باب استلام الحجر ٩٨٢/٢ قال في الزوائد : في إسناده محمد بن عون الخراساني ، ضعَّفه ابن مَعِين وأبو حاتم وغيرهما ، المستدرك ٤٥٤/١ وقال : صحيح الإسناد و لم يخرِّجاه ، قال الزيلعي في نصب الراية ٣٨/٣ : لم يتعقَّبْه الذهبي في مختصره ، ولكنه في ميزانه أعلَّه بمحمد بن عون ، ونَقَل الزيلعي عن البخاري أنه قال : « هو منكر الحديث » اهـ . لكن يشهد له الحديث الآتي عن جابر رضي الله عنه .

(٢) ٤٥٥/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه ، صحيح ابن خزيمة ٢١٢/٤-٢١٣ ، سنن البيهقي ٧٤/٥ وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ١٩٥/٢-١٩٦ و لم يتكلم عليه بشيء ، وذكره ابن حجر في التلخيص الحبير ٢٤٥/٢-٢٤٦ و لم يقدح فيه ، بل قوَّاه فقال : وله شاهد من حديث ابن عمر . اهـ .

الباب الثالث

الأحكام الفقهية

المتعلقـة بالحـجر الأســود

١- استحباب تقبيل الحجر الأسود :

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله فقال : « إني أعلم أنَّك حجر لاتضرّ ولاتنفع ، ولولا أني رأيتُ النبي ﷺ يُقبِّلك ماقبَّلْتك »[١] .

وفي رواية مسلم[٢] عن سُويد بن غَفَلة قال : « رأيت عمر قبَّل الحجر والتزمه وقال : رأيت رسول الله ﷺ بك حَفِيّاً » .

حفيّاً : أي معتنياً بشأنك بالتقبيل والمسح والكلام[٣] .

* قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

« وفي رواية النسائي[٤] من وجه آخر مايُشْعِر بأن عمر رَفَعَ قوله ذلك (أي إنك حجر لاتضرّ...) إلى النبي ﷺ ، أخرجه من طريق طاوس

(١) صحيح البخاري ، الحج ، باب ماجاء في ذكر الحجر الأسود ٤٦٢/٣ ، صحيح مسلم ، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ٩٢٥/٢ .

(٢) ٩٢٦/٢ .

(٣) حاشية السندي على سنن النسائي ٢٢٧/٥ .

(٤) الحج ، باب كيف يقبِّل ؟ ٢٢٧/٥ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : رأيت عمر قبَّل الحجر ثلاثاً ثم قال : إنك حجر لاتضرُّ ولاتنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبَّلك ماقبَّلتك .

ثم قال : رأيت رسول الله فعل مثل ذلك »[1] .

وفي رواية ذكرها الحافظ ابن حجر في المطالب العالية[2] يُفهم منها رفع هذا القول (إنك لاتضر ولاتنفع) إلى النبي ﷺ[3] ، وهي كما يلي :

عن رجلٍ رأى النبيَّ ﷺ وَقَفَ عند الحجر فقال : « إني لأعلم أنك حجر لاتضرُّ ولاتنفع ، ثم قبَّله ، ثم حجَّ أبوبكر فوقف عند الحجر ثم قال : إني لأعلم أنك حجر لاتضرُّ ولاتنفع ، ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يُقبِّلك ماقبَّلتك » .

* وهذا الخطاب منه ﷺ للحجر الأسود ، يذكِّر بخطابه ﷺ لكثير من الجمادات ، التي كانت تُدرك وتستجيب له ﷺ ، مثل خطابه ﷺ لجبل حِرَاء ، وكان عليه رسول الله ﷺ وبعض خيار أصحابه ، حين ارتجَّ واهتزَّ الجبل طرباً به ﷺ وبمن معه ، فقال له رسول الله ﷺ :

---

(١) فتح الباري ٤٦٢/٣ .

(٢) ٣٤١/١ معزواً لمسند أبي بكر بن أبي شيبة ، وقد سكت عنه البوصيري في إتحاف السادة المهرة ، قال عنه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تعليقه على المطالب : إسناده جيد .

(٣) كما في فتح القدير لابن الهمام ٣٥٤/٢ ، ونصُّ الزيلعي في نصب الراية ٣٩/٣ يشعر بهذا ، حيث قال عنه : متن غريب .

« أُسْكن حِرَاء ، فما عليك إلا نبي أو صدّيق أو شهيد »[١] .

وكذلك خطابه ﷺ لجبل أُحُد[٢] ، وجبل ثَبِيْر بمكة المكرمة[٣] وغير هذا .

❋ وقد جاء في رواية ضعيفة ذِكْر قصةٍ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ردَّ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال : (إنك لاتضر ولاتنفع) ، أُوْرِدُها هنا لبيان ضعفها ، حيث اشتهرت كثيراً ، وبخاصة أن هذا القول روي - كما تقدم - مرفوعاً من قول النبي ﷺ ، واتَّبعه فيه سيدنا أبوبكر ، ثم سيدنا عمر رضي الله عنهما ، (فيَبْعُد أن يصدر هذا الجواب عن علي رضي الله عنه ، أعني قوله : « بل يضر وينفع » ، بعد ماقال النبي ﷺ : « لايضر ولاينفع » ، لأنه صورة معارضة)[٤] .

❋ روى الحاكم - بسند ضعيف - من حديث أبي سعيد « أن عمر لما قال هذا ، قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

بلى ياأمير المؤمنين ، إنه يضر وينفع .

قال : بمَ ؟ قال : بكتاب الله تبارك وتعالى .

قال : وأين ذلك من كتاب الله ؟ .

---

(١) صحيح مسلم ١٨٨٠/٤ .

(٢) صحيح البخاري ٢٢/٧ .

(٣) سنن الترمذي ٦٢٩/٥ وقال : حديث حسن ، وهو عند غير الترمذي أيضاً .

(٤) فتح القدير لابن الهمام ١٣٥٤/٢ .

قال : قال الله تعالى : ﴿ وإذ أَخَذَ ربُّـك مـن بـني آدم مـن ظهورهـم ذُرِّيَّتَهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم ؟ قالوا : بلى ﴾[١] .

خَلَقَ الله آدم ومَسَحَ على ظهره ، فقرَّرهم بأنه الرب وأنهـم العبيـد ، وأَخَذَ عهودَهم ومواثيقهـم ، وكَتَبَ ذلـك في رَقٍّ ، وكـان لهـذا الحجـر عينان ولسان ، فقال له : افتحْ فاك ، قال : فَفَتَحَ فاه ، فألقَمَه ذلك الرَّقّ ، وقال : اشْهَدْ لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة .

وإني أَشْهَدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

يُؤتـى يـوم القيامـة بـالحجر الأسـود ، ولـه لسـان ذَلْـق[٢] يشـهد لمـن يستلمه بالتوحيد .

فهو ياأمير المؤمنين يضرُّ وينفع .

فقـال عمر : أعـوذ بـالله أن أعـيش في قـوم لسـتَ فيهـم يـا أبـا حسن »[٣] .

❁ **الحِكْـمة** من قول عمر رضي الله عنه عند تقبيله للحجر الأسـود : (إنك لاتضر ولاتنفع) :

قال المحب الطبري رحمه الله :

---

(١) من سورة الأعراف ، آية رقم ١٧٢ .

(٢) أي بليغ ، ينظر القاموس المحيط (ذلق) .

(٣) المستدرك ٤٥٧/١ قال الذهبي في مختصر المستدرك : في إسناده أبو هارون العَبْدي ، وهو ساقط . اهـ ، الأزرقي ٣٢٣/١ .

قال ابن حجر في الفتح ٤٦٢/٣ : في إسناده أبو هارون العبدي : ضعيف جداً .

« إنما قال ذلك عمر رضي الله عنه – والله أعلم – لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام ، فخشي عمر أن يَظنَّ الجهَّالُ أنَّ استلام الحجر هو مثل ماكانت العرب تفعله ، فأراد عمر أن يُعلِّم الناس أنَّ استلامه لايُقْصَد به إلا تعظيم الله عزوجل ، والوقوفُ عند أمر نبيه ﷺ ، وأنَّ ذلك من شعائر الحج التي أَمَرَ الله بتعظيمها ، وأنَّ استلامه مخالف لفعل الجاهلية في عبادتهم الأصنام ، لأنهم كانوا يعتقدون أنها تُقَرِّبهم إلى الله عز وجل زُلفى ، فنبَّه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد ، وأنه لاينبغي أن يُعْبَد إلا مَن يملك الضرر والنَّفْع ، وهو الله جل وعلا »[1] .

« وفي قول عمر هذا : التسليم للشارع في أمور الدين ، وحُسْن الاتِّباع فيما لم يُكشف عن معانيه ، ولم تُعلم الحِكمة فيه .

وفيه : دَفْع ماوَقَعَ لبعض الجهَّال : من أن في الحجر الأسود خاصّةً ترجع إلى ذاته »[2] ، حيث إنه « لاينفع ولايضر إلا بإذن الله »[3] .

❋ وهذا التعليل يمكن أن يقال ، سواء كان هذا القول (إنك لاتضر ولاتنفع) من قول رسول الله ﷺ أو قول أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما .

---

(١) القِرى ص ٢٨١ ونقله ملخصاً ابن حجر في الفتح ٤٦٣/٣ ، وقريب من هذا النص ماذكره الباجي رحمه الله في المنتقى شرح الموطأ ٢٨٧/٢ ، والنووي في المجموع ٢٩/٨ وغيرهم .

(٢) فتح الباري ٤٦٣/٣ .

(٣) فتح الباري ٤٦٢/٣ .

٭ **السرُّ** في عدم عبادة المشركين للحجر الأسود :

قال الشيخ محمد طاهر الكردي المكي رحمه الله :

« ومما هو جدير بالذكر والالتفات إليه ، أنَّ العرب في جاهليتها مع عبادتهم الأحجار ، وبالأخص حجارة مكة والحرم ، لم يُسمع عنهم أنَّ أحداً عَبَدَ الحجر الأسود أو المقام ، مع عظيم احترامهم لهما ومحافظتهم عليهما .

ولقد تأمَّلنا في سرِّ ذلك وسببه ، فظهر لنا أن ذلك من عصمة الله تعالى ، فإنهما لو عُبِدا من دون الله في الجاهلية ، ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود ، والصلاة خلف المقام ، لقال المنافقون وأعداء الإسلام : إن الإسلام أقرّ احترام بعض الأصنام ، وأنه لم يَخْلُص من شائبة الشرك ، ولَتَمسَّك بعبادتهما مَن كان يَعبُد أحدهما من قبل ، فلهذا حَفِظَ الله تعالى هذين الحجر الكريمين من أيام إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا ، وإلى ماشاء الله عن عبادة أهل الجاهلية لهما ، كما حَفِظ بيته الحرام من عبادتهم أيضاً ، ولايخفى أن هذه نقطة دقيقة لايتنبَّه إليها كل أحد »[1] .

٢- استحباب استلام الركن عند البَدْء بالطواف :

« الاستلام بكسر التاء ، قال الهروي : قال الأزهري : هو افتعال من السَّلام ، وهو التحية ، كما يقال : اقترأت السلام .

قال : ولذلك يسمي أهلُ اليَمَن الركنَ الأسودَ : المُحيّا ، معناه : أن الناس يحيّونه .

---

(١) مقام إبراهيم ص ١٠٧ .

وقال ابن قُتَيْبة : هو من السِّلام بكسر السين ، وهي الحجارة ، يقال : استلمت الحجر : لَمَسْتُه »[١] .

وقال الجوهري في الصحاح[٢] : « استلم الحجر : لَمَسه بالقُبْلة أو باليد » .

❋ ولاخلاف بين العلماء أنه يستحب استلام الحجر الأسود باليد في أول الطواف وتقبيله .

وذلك لما روى البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحيهما[٣] ، واللفظ لمسلم « عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ حين يَقْدَمُ مكة إذا استلم الركنَ الأسود أول مايطوف يَخُبُّ - أي يُسرع في مشيه - ثلاثة أطواف من السَّبْع » .

وفي حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ قال : « حتى إذا أتينا البيت معه ﷺ استلم الركن فرَمَل ثلاثاً... »[٤] الحديث .

وعند الحاكم في المستدرك[٥] « عن جابر رضي الله عنه قال : دخلنا مكة عند ارتفاع الضحى ، فأتى النبيُّ ﷺ باب المسجد ، فأناخ راحلته ، ثم دخل المسجد ، فبدأ بالحجر فاستلمه ... » الحديث .

---

(١) المجموع للإمام النووي ٣١/٨ .

(٢) ٩١٤/٣ .

(٣) صحيح البخاري ، الحج ، باب استلام الحجر الأسود ٤٧٠/٣ ، صحيح مسلم ، الحج ، باب استحباب الرمل ٩٢١/٢ .

(٤) صحيح مسلم ٨٨٧/٢ .

(٥) ٤٥٥/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه .

وروى البخاري في صحيحه[١] « عن الزبير بن عربي قال : سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر ، فقال : رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبِّله... » .

وتقدم فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتقبيله للحجر وقوله : « لولا أني رأيت رسول الله ﷺ قبَّلك ماقبَّلتك » .

❋ شعار الطواف استلام الحجر :

روى الفاكهي[٢] « عن مجاهد قال : كل شيء له شعار ، وشعار الطواف استلام الحجر » .

ومما ورد في الحثِّ الشديد على استلام الحجر مارواه الفاكهي[٣] « عن الحكم قال : كَتَبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الأمصار : ليكن آخر عهدكم من البيت الحَجَر » .

وروى الفاكهي[٣] أيضاً عن علي بن الحسين (زين العابدين) رضي الله عنه قال : « لاحجَّ لمن لايستلم الحجر ، لأنه يمين الله في عباده » .

أي لايكون الحج تاماً كاملاً إلا باستلام الحجر ، حيث هو من السنن والمندوبات ، وليس المراد نفي صحة الحج ، فقد اتفق « جميع الفقهاء على أن من ترك استلام الحجر في الطواف لاشيء عليه ، وأن استلامه أفضل »[٤] .

---

(١) الحج ، باب تقبيل الحجر ٣/٤٧٥ .

(٢) ١/١١٠ .

(٣) ١/٩٧ .

(٤) المنتقى للباجي ٢/٢٨٧ .

٣- استحباب السجود على الحجر الأسود مع استلامه وتقبيله :

وذلك بأن يَضَعَ مستلمُ الحجر وجهه أو جبينه على الحجر الأسود على هيئة السجود[(١)] ، وذلك لما روى « جعفر بن عبد الله قال : رأيت محمد بن عبّاد بن جعفر قبَّل الحجر وسجد عليه ، ثم قال : رأيت خالَك ابن عباس يقبِّله ويسجد عليه ، وقال ابن عباس : رأيت عمر بن الخطاب قبَّله وسجد عليه ، ثم قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت »[(٢)] .

٢- وروى الحاكم[(٣)] عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ سجد على الحجر » .

٣- وعن أبي جعفر « أنه رأى ابن عباس جاء يوم التروية مسبّداً رأسه ، قال : فرأيته قبَّل الركن ثم سجد عليه ، ثم قبَّله ثم سجد عليه ، ثم قبَّله ثم سجد عليه ، فقلت لابن جريج : ماالتسبيد ؟ فقال : هو الرجل يغتسل ثم يغطي رأسه فيلصق شعره بعضه ببعض »[(٤)] .

* وعلى استحباب تكرار السجود على الحجر الأسود ثلاث مرات

---

(١) كما فسَّره بهذا الإمام علي القاري في مناسكه ص٨٩ ، وفسَّره النووي في المجموع ٣٣/٨ بأن يضع الجبهة عليه .

(٢) المستدرك للحاكم ٤٥٥/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه ، وصحَّح إسناده الإمام النووي في المجموع ٣٣/٨ ، وعزاه للشافعي ، صحيح ابن خزيمة ٢١٣/٤ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧٤/٥ ، وينظر مجمع الزوائد ٢٤١/٣ .

(٣) المستدرك ٤٧٣/١ ووافقه الذهبي على تصحيحه .

(٤) مصنف عبد الرزاق ٣٧/٥ ، الأم للشافعي ١٧١/٢ ، الفاكهي ١١١/١ .

بعد تقبيله : الحنفية[١] والشافعية[٢] والحنابلة[٣] .

ولم ير فِعْلَه الإمام مالك رحمه الله ، وقال : هو بدعة[٤] ، ولذا نصَّ المالكية في كتبهم على كراهية السجود عليه[٥] .

ونصوص الأحاديث السابقة تشهد لمن رأى استحباب ذلك .

٤- استحباب استلام الحجر الأسود قبل البدء بالسعي بين الصفا والمروة :

عن جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ فيما رواه مسلم عنه في صحيحه[٦] قال :

« حتى إذا أتينا البيت معه ﷺ استلم الركن فَرَمَلَ ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ واتَّخِذُوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ، فجعل المقامَ بينه وبين البيت... ثم رجع إلى الركن فاستلمه ثم خرج من الباب إلى الصفا ... » .

« وهذا الاستلام لافتتاح السعي بين الصفا والمروة ، ولعل وجه هذا الاستفتاح أنه ﷺ لم يُرِدْ أن يَمُرَّ عليه – أي على الحجر – من غير إقبال

---

(١) مناسك الإمام علي القاري ص ٨٩ .

(٢) المجموع للنووي ٣٣/٨ .

(٣) كشاف القناع ٤٧٨/٢ .

(٤) المدونة للإمام مالك ٣٦٤/١ .

(٥) ينظر الشرح الكبير ٤١/٢ ، التاج والإكليل للمواق ١٠٨/٣ ، جواهر الإكليل ١٧٨/١ .

(٦) ٨٨٨/٢ .

حال توجّهه إلى الصفا بمقتضى المروءة والوفاء »[١] .

وقد نصَّ فقهاء المذاهب الأربعة[٢] على استحباب استلام الحجر قبل البدء بالسعي بين الصفا والمروة .

٥- استحباب استلام الحجر الأسود من غير طواف :

تقدم[٣] في فضل الحجر الأسود عن النبي ﷺ أن مَسْحَه يحطّ الخطايا ويكفّرها ، وهو نصٌّ مطلقٌ يدل على « أن مسحَ الحجر الأسود وتقبيلَه عبادةٌ وقُربةٌ متعلقة بالبيت ، وليس من شرط استلام الحجر طواف ولاركوع - أي صلاة ذات ركوع - ولاغيره ، بل يصح أن يُفْرَد بذلك ، كالدعاء الذي يُفعل في جملة العبادات ، وقد سُئل الإمام مالك رحمه الله عن استلام الركن ابتداءً في غير طواف فقال : ليس من شأن الناس ، ومابذلك بأس »[٤] .

* وقد روي عن ساداتٍ من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم كانوا يستلمونه من غير طواف ويحثّون عليه ، ومن ذلك :

١- مارواه الفاكهي[٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما « أنه كان

---

(١) مناسك الإمام علي القاري ص ٩٥ .

(٢) مناسك الإمام علي القاري ص ٩٥ ، متن خليل (مع جواهر الإكليل) ١٧٨/١ مناسك النووي ص ٢٦٣ ، شرح منتهى الإرادات ٥٤/٢ .

(٣) ص ٤٤ .

(٤) المنتقى شرح الموطأ للباجي ٢٨٦/٢ ، هداية الناسك للشيخ محمد حسين عابد ص٨٠ وفيه : أن قول مالك رحمه الله (لابأس به) يريد أنه مستحب .

(٥) ١٢٥/١-١٢٦ .

لايخرج من المسجد - الحرام - حتى يستلمه - أي الحجر - ، كان في طواف أو في غير طواف » .

ومشهور عنه رضي الله عنه شدة اتباعه للنبي ﷺ ، فلعل له معرفة بذلك من فعل النبي ﷺ .

٢- وروى الأزرقي[1] عن ابن أبي مُلَيْكَة التابعي قال :

« أول من استلم الركن الأسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابنُ الزبير ، فاستحسنتْ ذلك الولاة بعده فاتَّبَعَتْه » .

٣- وروى الفاكهي[2] عن ابن جريج قال : « قلت لعطاء : أرى الأئمة إذا نزلوا عن المنبر استلموا الركن قبل أن يأتوا المقام ، أَبَلَغَك فيه شيء ؟ .

قال : لا ، قلت : أتستحسنه ؟ قال : لا ، إلا أن استلام الركن ماأكثرتَ منه فهو خير » .

٤- وروى الفاكهي[3] عن حماد عن إبراهيم النخعي قال : « كلما دخلتَ المسجد - الحرام - ، طفتَ بالبيت أو لم تطف ، فاستَلِم الحجر حين تريد أن تخرج من المسجد ، أو اسْتَقْبِله وكبِّر ، وادعُ الله عزوجل » .

٥- وروى الفاكهي[4] أيضاً عن ابن طاوس عن أبيه قال : « كان يكون في المسجد ، فإذا أراد أن يخرج استلم الركن ثم خرج » .

---

(١) الأزرقي ١/٣٤٥ ، والفاكهي ١/١٣٣ .

(٢) ١/١٣٤ .

(٣) ١/١٢٥.

(٤) ١/١٢٦ ، مصنف عبد الرزاق ٥/٤٣ .

❁ وقد كان هذا الأمر ، وهو تقبيل الحجر الأسود ولو من غير طواف يُفعل إلى عهد قريب ، فقد ذكر الشيخ محمد حسين عابد المكي الفقيه المالكي المتوفى سنة ١٣٤١هـ في كتابه هداية الناسك[١] قال :

« وقد اشتهر في هذا الزمان – والحمد لله – تقبيله من غير طواف ، فيُقبِّله الإمامُ والخطيبُ وغيرُهما من غير طواف » اهـ .

٦– استلام الحجر الأسود بالمِحْجن أو اليد أو بالإشارة إليه ، وتقبيل المستلم ماأمسَّ به الحجر ، أو ماأشار به :

١– روى البخاري رحمه الله في صحيحه[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « طاف النبي ﷺ في حجة الوداع على بعيره ، يستلم الركن بمِحْجَن » .

« والمحجن : عصا محنيّة الرأس ، والمعنى : أنه يومئ بعصاه إلى الركن حتى يصيبه »[٣] .

٢– وروى مسلم في صحيحه[٤] عن أبي الطُّفَيْل رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويستلم بمحجن معه ، ويقبِّل المحجن» .

٣– وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

---

(١) ص٨٠ .

(٢) الحج ، باب استلام الركن بالمحجن ٤٧٢/٣ .

(٣) فتح الباري ٤٧٣/٣ .

(٤) الحج ، باب جواز الطواف على بعير وغيره ٩٢٧/٢ .

« طاف النبي ﷺ على بعير ، كلما أتى الركن أشار إليه »[١] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « قال ابن التين : تقدم أنه كان ﷺ يستلمه بالمحجن ، فيدلُّ على قُربه من البيت ، لكن مَن طاف راكباً يُستحب له أن يَبْعُدَ إن خاف أن يؤذي أحداً ، فيُحمل فعله ﷺ على الأمن من ذلك . اهـ .

ويحتمل أن يكون في حال استلامه قريباً ، حيث أَمِنَ ذلك ، وأن يكون في حال إشارته بعيداً ، حيث خاف ذلك »[٢] اهـ .

٤- وروى مسلم في صحيحه[٣] عن نافع قال : « رأيت ابنَ عمر رضي الله عنهما يستلم الحجر بيده ، ثم قبَّل يده ، وقال : ماتركتُه منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله » .

٥- وعن عطاء قال : « رأيت عبد الله بن عمر وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وجابر بن عبدالله إذا استلموا الحجر قبَّلوا أيديهم »[٤] .

❋ وقد نصَّ فقهاء المذاهب الأربعة باتفاق على أن مستلم الحجر إذا استلمه بيده أو أمسَّه بمحجن : قبَّل يده أو المحجن ، والدليل على ذلك صريح ماتقدم من الأحاديث .

---

(١) صحيح البخاري ، الحج ، باب من أشار إلى الركن إذا أتى عليه ٤٧٦/٣ .

(٢) فتح الباري ٤٧٦/٣ .

(٣) ٦٢٤/٢ .

(٤) الأم للشافعي ١٧١/٢ ، الأزرقي ٣٤٣/١ ، عبد الرزاق ٤٠/٥ ، سنن البيهقي ٧٥/٥ .

لكن إن لم يتيسَّر له استلام الحجر بيده أو بشيء آخر ، أو تَرَكَ ذلك من نفسه ، وأشار إلى الحجر بيده أو بشيء آخر هل يُقبِّل يده أو ما أشار به أم لا ؟ .

ذهب الحنفية[١] والشافعية[٢] إلى تقبيل ما أشار به من يدٍ ونحوها ، وذهب المالكية[٣] والحنابلة[٤] إلى عدم تقبيلها إن أشار و لم يمسَّ الحجر ، وعلَّلوا قولَهم بعدم ورود ذلك .

ويُستدل للقائلين بتقبيلها بما استدل به الإمام النووي[٥] رحمه الله وهو قوله ﷺ : « إذا أَمَرْتُكم بأمرٍ فأْتوا منه ماستطعتم »[٦] .

واستدل الإمام علي القاري في مناسكه[٧] بالقياس حيث قال : « إن الإشارة بمنزلة وضع الكف ، فيتفرَّع التقبيل في البدل على وَفق الأصل المبدَل منه » .

❋ **تنبيه** في عدم الإشارة بالفم إلى التقبيل :

قال الإمام النووي رحمه الله :

---

(١) مناسك الإمام علي القاري ص ٨٩ .

(٢) المجموع ٣٣/٨ ، حاشية ابن حجر الهيتمي على مناسك النووي ص ٢١٨ .

(٣) الشرح الكبير ٤١/٢ .

(٤) كشاف القناع ٤٧٩/٢ .

(٥) المجموع ٣٣/٨ ، حاشية ابن حجر الهيتمي على مناسك النووي ص ٢١٨ .

(٦) صحيح البخاري ، الاعتصام ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٥١/١٣ ، صحيح مسلم ، الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ٩٧٥/٢ .

(٧) ص ٨٩ .

« إن لم يتيسر للطائف استلام الحجر أو تَرَكَه من نفسه ، فيشير إليه بيده أو بمحجن كما تقدم ، ولكن لايشير بالفم إلى التقبيل ، لأن النبي ﷺ لم يفعله ، ولأن الإشارة بالقُبلة يقبُح فعلها »[١] .

❋ **تنبيه** في عدم رفع الصوت في تقبيل الحجر الأسود :

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

« فائدة : المستحب في التقبيل أن لايَرْفَع به صوتَه .

روى الفاكهي[٢] عن سعيد بن جبير قال : إذا قبَّلتَ الركن فلا ترفَعْ بها صوتك كقُبلة النساء »[٣] .

وروى الفاكهي[٤] أيضاً عن عطاء أنه قال : إذا استلمتَ الحجر ، ثم قبَّلتَ يدَك فلا تصوِّت » .

وقد نصَّ فقهاء المذاهب الثلاثة[٥] على أنه يُقبِّل الحجر من غير صوت يُسمع .

وأما المالكية فلهم في الصوت قولان : الإباحة والكراهة .

قال الحطاب في شرح متن خليل[٦] : ورجَّح غير واحد الجواز . اهـ .

---

(١) ينظر مناسك النووي مع حاشية ابن حجر الهيتمي ص ٢٤٨ .

(٢) الفاكهي ١/١٥٩ .

(٣) فتح الباري ٣/٤٧٦ .

(٤) الفاكهي ١/١٥٩ ، ابن أبي شيبة ٤/١٠٥ .

(٥) مناسك الإمام علي القاري ص ٨٩ ، مناسك النووي ص ٢١٧ ، شرح منتهى الإرادات ٢/٥٠ .

(٦) مواهب الجليل ٣/١٠٨ .

٧- استحباب مسح الوجه باليد بعد استلام الحجر الأسود بها :

١- روى الفاكهي[(١)] عن هشام بن عروة قال : « كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا استلم الحجر أَمَرَّ يدَه على وجهه طُوْلاً » .

٢- وعن محمد بن المرتفع « أنه رأى ابن الزبير وعمرَ بن عبد العزيز إذا استلما مَسَحَا وجوهَهما بأيديهما »[(٢)] .

٣- وعن مَعْمر قال : « رأيت أيوبَ السَّخْتِياني كثيراً ما يمسح وجهَه بيده إذا استلم بعد أن يُقبِّل يده »[(٣)] .

٤- وعن حُميد بن حبان قال : « رأيت سالم بن عبد الله إذا استلم الركن الأسود وَضَعَ يده على جبهته وعلى خَدِّه »[(٤)] .

٨- رفع اليدين والإشارة بهما إلى الحجر الأسود حال عدم استلامه بمسّ أو تقبيل :

١- روى الفاكهي[(٥)] والطحاوي عن إبراهيم النخعي رحمه الله قال : « تُرفَع الأيدي عند استلام الحجر » .

٢- وعن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد « أنه رأى طاوساً إذا مَرَّ بالركن فلم يستلم ، رَفَعَ يديه وكبَّر »[(٦)] .

---

(١) ١٠٦/١ .

(٢) مصنف عبد الرزاق ٤٢/٥ ، الفاكهي ١٠٦/١ و ١١٣ .

(٣) مصنف عبد الرزاق ٤٢/٥ ، الفاكهي ١١٥/١ .

(٤) الفاكهي ١١٥/١ .

(٥) ١٠٨/١ ، شرح معاني الآثار ١٧٨/٢ .

(٦) الفاكهي ١٠٧/١ ، مصنف عبد الرزاق ٣١/٥ .

٣- وعن زيد بن السائب قال : « رأيت خارجة بن زيد إذا حاذى الركن فلم يستلم رَفَعَ يديه ، وأشار بيديه إلى مَنْكِبَيْه »[١] .

٤- وعن عبد الملك بن أبي سليمان « أنه رأى سعيد بن جبير إذا حاذى بالركن فلم يستلمه ، كبَّر ، ورفع يديه »[٢] .

٥- وعن عطاء قال : « إن لم تَسْتَلم ، فارْفَعْ يديك أول ماتفتتح وآخره »[٣] .

❋ أما عن كيفية رفع اليدين ، فقد قال الإمام أبو يوسف القاضي تلميذ الإمام أبي حنيفة رحمهما الله : « يجعل ظَهْر كفَّيْه إلى وجهه »[٤] .

وقال المحب الطبري رحمه الله[٥] :

« والظاهر في كيفية الرفع مع التكبير أنه كهيئته في الصلاة ، إذ لم يُنْقَل في التكبير بخلافها » اهـ .

وقد نصَّ فقهاء الحنفية[٦] على رفع اليدين والإشارة بهما إلى الحجر عند عدم استلامه ، ودليلهم ماسبق من الآثار والله أعلم .

---

(١) الفاكهي ١/١٠٦ .

(٢) الفاكهي ١/١٠٧ و ١٤٨ ، مصنف عبد الرزاق ٥/٣١ ، وعزاه الطبري في القِرى ص ٣٠٨ لسنن سعيد بن منصور .

(٣) الفاكهي ١/١٠٨ .

(٤) شرح معاني الآثار ٢/١٧٨ ، تبيين الحقائق ٢/١٦ .

(٥) القِرى ص ٣٠٨

(٦) ينظر تبين الحقائق ٢/١٦ ، مختصر القدوري وشرحيه : الجوهرة النيرة ص١٨٨ ، اللباب ١/١٨٤ .

٩- استلام النساء للحجر الأسود :

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى :

« قال أصحابنا : لايُستحبُّ للنساء تقبيل الحجر ولااستلامه إلا عند خُلُوِّ المطاف في الليل أو غيره ، لما فيه من ضَرَرِهنَّ ، وضرر الرجال بهنَّ »[(١)] .

وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها أمُّ المؤمنين ، وقدوةُ النساء الصالحات الطاهرات ، كانت لاترى استلامه إلا عند خُلُوِّه ، وتزجُر مَن كانت تزاحم لاستلامه .

١- روى البخاري رحمه الله في صحيحه[(٢)] عن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت تطوف حَجْرةً من الرجال - أي معتزلة عن الرجال - لاتخالطهم ، فقالت امرأةٌ : انطلِقي نستلم ياأم المؤمنين ، قالت : انطلقي عنكِ[(٣)] ، وأبَت » .

٢- وفي رواية الفاكهي[(٤)] :

« طافت امرأة مع عائشة رضي الله عنها ، فلما جاءت الركنَ قالت المرأة : ياأم المؤمنين ألا تستلمين ؟ قالت عائشة رضي الله عنها : وما للنساء ومالاستلام الركن ؟ امضِ عنك » .

---

(١) المجموع ٨/٣٤ .

(٢) الحج ، باب طواف النساء مع الرجال ٣/٤٧٩-٤٨٠ .

(٣) أي انطلقي عن جهة نفسك ، كما في الفتح ٣/٤٨١ .

(٤) ١/١٢٢ .

٣- وروى الإمام الشافعي[1] وغيره « أن مولاة لعائشة رضي الله عنها أَتَتْها فقالت : إني استلمت الحجر ثلاث مرات في سُبُع طُفْتُه ، فقالت : لاآجَرَكِ الله- مرتين أو ثلاثاً - ، تدافِعين الرجال ! ، ألا كبَّرتِ ومَرَرت » .

٤- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لامرأة : « لاتزاحمي على الحَجَر ، إن رأيتِ خَلْوةً فاستَلِمِي ، وإن رأيت زحاماً فكبِّري وهلِّلي إذا حاذَيت ، ولاتُؤذي أحداً »[2] .

٥- وروى الفاكهي[3] والأزرقي عن المثنى قال : « رأيتُ عطاءً ، وأرادت امرأةٌ أن تستلم الحجرَ ، فصاح بها وزَجَرَها وقال : غَطِّي يَدَكِ ، ليس للنساء أن يستلِمن » .

١٠- المزاحمة على استلام الحجر الأسود وتقبيله بدون أذى :

تقدم ماورد في الحثّ والترغيب في استلام الحجر الأسود وتقبيله ، وبيان ثواب ذلك وفضله ، ولكن إلى أيِّ حدٍّ يبلُغ سعي الساعي في استلامه إن كانت هناك زحمة ؟ .

والجواب : له أن يسعى ويزاحم في تقبيل الحجر واستلامه ، ولكن على ألايُؤْذِيَ أحداً ولايُؤْذَى ، وإلا ارتكب الحرام ، لأن الاستلام سنة ، والتحرُّز عن الأذى واجب ، وهكذا فإن وَجَدَ الساعي لاستلام الحجر فجوة استلم ، وإلا كبَّر وهلَّل ومضى في طوافه .

---

(١) الأم ١٧٢/٢ ، الفاكهي ١٢٢/١ ، السنن الكبرى للبيهقي ٨١/٥ .

(٢) شفاء الغرام للفاسي ١٧٣/١ وعزاه لسنن سعيد بن منصور .

(٣) ١٢٣/١ ، الأزرقي ٣٣٧/١ .

وقد جاءت بهذا أحاديث وآثار عديدة ، وأما ماوَرَدَ من آثار عن بعض الصحابة والتابعين هي في ظاهرها تحثّ على المزاحمة ولو أدَّت إلى الأذى ، فإنه بالتأمُّل فيها جيداً ، وبربطها بآثار أخرى ، يُرى أنها مقيدة بعدم الأذية .

وفيما يلي أذكر ماوَرَدَ من آثار في ذلك، مع ربط بعضها ببعض ، ليتضح ماسبق توجيهه .

❋ النصوص الواردة في النهي عن المزاحمة مع الأذى :

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له :

« ياعمر إنك رجل قوي ، لاتزاحِم على الحجر ، فتؤذيَ الضعيف ، إن وجَدْتَ خلوةً فاستلِمْه ، وإلا فاستقبِلْه فهلِّل وكبِّر »[(١)] .

٢- وروى الأزرقي[(٢)] عن هشام بن عروة « أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يستلم إذا وَجَدَ فجوة ، فإذا اشتد الزحام كبَّر كلما حاذاه » .

٣- وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهة المزاحمة وقال : « لايُؤذِي ولايُؤذَى »[(٣)] .

---

(١) مسند أحمد ٢٨/١ واللفظ له وفيه راوٍ لم يسمّ ، كما في مجمع الزوائد ٢٤١/٣ ، مصنف عبد الرزاق ٣٦/٥ ، الأزرقي ٣٣٤/١ ، سنن البيهقي ٨٠/٥ وقد ذكر له البيهقي طريقاً أخرى عن سعيد بن المسيب عن عمر وقوّاه ، فقال عن طريق أحمد : هو شاهد لرواية ابن المسيب .

(٢) ٣٣٤/١ .

(٣) الفاكهي ١٣٠/١-١٣١ وذكره ابن حجر في الفتح ٤٧٥/٣ دون تعقب .

٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ودِدْتُ أنَّ الذي يُزاحم على الركن نجا منه كَفَافاً ، لا له ولاعليه »[1] .

فقد يلحقه من الإثم بسبب المزاحمة أكثر مما يجنيه من الثواب .

٥- وعن عطاء « أنه كان يكره دَفْع الناس عن الركن ، وكان يَنْهَى عن ذلك كثيراً ، ويقول : إياكم وأذى المسلمين »[2] .

٦- وعن عطاء أيضاً أنه كان يقول : « تكبيرة ولأَأُوْذِي مسلماً ، أحبُّ إلي من استلامه - يعني الركن - »[3] .

٧- وعن سعيد بن جبير قال : « لاتزاحِمْ على الحجر إلا أن ترى خَلْوة »[3] .

* النصوص التي ظاهرها الحث على المزاحمة على استلام الحجر ولو بأذية :

١- روى البخاري في صحيحه[4] عن الزبير بن عربي قال : « سأل رجل ابنَ عمر رضي الله عنهما عن استلام الحجر فقال : رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويُقبِّله ، قال : قلت : أرأيت إن زُحِمْتُ ؟ أرأيتَ إن غُلبتُ ؟ قال : اجعل (أرأيت) باليَمَن ، رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمه ويُقبِّله » .

---

(١) الفاكهي ١/١٣١ ، مصنف عبد الرزاق ٥/٣٦ .

(٢) الفاكهي ١/١٢٨ .

(٣) الفاكهي ١/١٣٢ .

(٤) الحج ، باب تقبيل الحجر ٣/٤٧٥ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « قوله : (اجعل « أرأيت » باليَمَن) ، يُشْعِر بأن الرجل يماني ، والظاهر أن ابن عمر لم يَر الزحام عُذراً في ترك الاستلام .

٢- وروى سعيد بن منصور من طريق القاسم بن محمد قال : رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يَدْمَى .

٣- ومن طريق أخرى : أنه قيل له في ذلك ؟ فقال : هَوَتِ الأفئدة إليه ، فأريد أن يكون فؤادي معهم »[1] .

٤- وروى البخاري[2] ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « ماتركت استلام هذين الركنين - الحجر واليماني - في شدة ولارَخَاء ، منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما » .

٥- وعن طلحة بن يحيى بن طلحة قال : « سألت القاسم بن محمد عن استلام الركن ؟ فقال : اسْتَلِمْه ياابن أخي ، وزاحِم عليه ، فإني رأيت ابن عمر رضي الله عنهما يزاحم عليه حتى يَدْمَى »[3] .

٦- وعن نافع قال : « كان ابن عمر رضي الله عنهما لايَدَعهما

---

(١) فتح الباري ٤٧٦/٣ ، وهذه الآثار أوردها ابن حجر وسكت عنها ، فهي صحيحة أو حسنة على قاعدته .

(٢) صحيح البخاري ،الحج ، باب الرمل في الحج والعمرة ٤٧١/٣ ، صحيح مسلم ٩٢٤/٢ .

(٣) الفاكهي ١٢٩/١-١٣٠ ، الأزرقي ٣٣٣/١ ، مصنف عبد الرزاق ٣٥/٥ ، وتقدم نقله عن ابن عمر في نص ابن حجر .

- الحجر واليماني - ، قال نافع : ولقد رأيتُه رَعَفَ ثلاث مرات مما يزاحم على الركن الأسود ، كل ذلك يخرج فيغسله ، فما تَرَكَه حتى استلمه »[١] .

٧- وعن سفيان قال : حدثنا إبراهيم بن أبي حرة الجزري قال : « كنت أنا وسالم بن عبد الله نزاحم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما على الركن حتى يستلمه .

قال سفيان : وقال غير إبراهيم : كان سالم لو زاحم الإبلَ لَزَحَمَها »[٢] .

٨- وعن مجاهد قال : « أصاب عروةُ عينَ إنسان عند الركن الأسود فقال له : ياهذا أنا عروة بن الزبير ، فإن كان بعَيْنِك بأسٌ فأنا بها »[٣] .

وهكذا تجد أن هذه الآثار تدور على مزاحمة ابن عمر رضي الله عنهما ، إلا الأخير منها فعن عروة رضي الله عنه ، وحاشا ابن عمر - وأمثاله - وهو مَن هو في شدة متابعته للنبي ﷺ أن يقع في أذية المسلمين عند بيت الله الحرام ، من أجل تحصيل سنة استلام الحجر ، وقد روي عنه أثر صريح في النهي عن المزاحمة المصحوبة بالأذى ، يقيد الآثار السابقة الذكر .

---

(١) الفاكهي ١٣١/١ ، الأزرقي ٣٣٢/١ ، مصنف عبد الرزاق ٣٥/٥ .

(٢) الفاكهي ١٣١/١ ، الأزرقي ٣٣٣/١ ، مصنف عبد الرزاق ٣٥/٥ .

(٣) الفاكهي ١٣٢/١ .

روى الفاكهي[1] عن جميل بن زيد قال : « رأيت ابنَ عمر رضي الله عنهما يطوف بالهاجرة[2] ، فازدحم الناس على الحجر ، فطَرَحُوا امرأةً ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما :

علامَ يقتل بعضُكم بعضاً ! إنما جئتم بُغَاةَ خير ، فمن استطاع منكم أن يستلمه فليستَلِمْه ، ومَن لم يستطعْ فليقضِ طوافَه » .

وفي أثر آخر عنه رضي الله عنه يصرّح بخطئه حين زاحم ، وأدَّى ذلك إلى خروج دمه .

روى الأزرقي[3] عن سالم بن عبد الله قال : « إن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان لايترك استلام الركنين في زحام ولاغيره ، حتى رأيتُه زاحَمْنا عنه يوم النحر وأصابه دم ، فقال : قد أَخْطَأنا هذه المرَّة » .

وعلى هذا فما ورد في الآثار السابقة من أنه كان يزاحم حتى يدمى ، تُحمل على هذا ، وأنه أخطأ في ذلك ، وقد نهى رضي الله عنه – كما تقدم – عن الأذى على مزاحمة الحجر ، وبهذا تجتمع هذه الآثار .

وأيضاً يبقى لابن عمر رضي الله عنهما منهجه الخاص ، الذي لم

---

(١) ١٢٩/١ .

(٢) الهاجرة : نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر ، أو من عند زوالها إلى العصر . القاموس المحيط (هجر) .

(٣) ٣٣٣/١ .

يُلزِم به أحداً ، وهو أَخْذه بالشدة على نفسه في متابعة النبي ﷺ في السنن والمستحبات والعادات ، وفي كل صغيرة وكبيرة ، مهما بلغ به من التعب والنصب في زحام أو غيره ، حتى يصل إلى مبتغاه ، أما غيره فلا يَرَى ذلك ، ولكلٍّ وِجهة هو مولِّيْها .

❋ وبمناسبة ذلك الزحام على استلام الحجر ، أرى أن الحل المناسب لمنع هذا الزحام أو تخفيفه ، هو مارأيتُه قد عُمِل به بعضاً من الوقت في هذه الأيام الأخيرة ، وهو تنظيم استلامه عن طريق عدد لابأس به من جنود الشرطة ، حيث لايَضْبِط عامةَ الناس إلا عصا السلطان ، وقد صَدَقَ سيدنا عمر رضي الله عنه حين قال :

« لما يَزَعُ الله بالسُّلطان ، أعظمُ مما يَزَعُ بالقرآن »[1] .

ويبقى هذا التنظيم دائماً على مدار الساعة ليلاً ونهاراً ، لاسيما وقت الزحام الشديد في المواسم ، وبذا يسهل استلام الحجر لكل من أراد : صغيراً كان أو كبيراً ، ضعيفاً أو قوياً ، رجلاً أو امرأة ، وتنحلُّ هذه المشكلة ، وما ينتج عنها من أذى وفتنة .

---

(١) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠٨/٤ بسنده موقوفاً من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لكن في سنده : الهيثم بن عدي ، وهو متروك ، ينظر لترجمته : المغني في الضعفاء للذهبي ٣٧٧/٢ ، وأسنده ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة ٩٨٨/٣ إلى يحيى بن سعيد أن عثمان رضي الله عنه قاله ، وهو إسناد جيد إلا أنه منقطع .

وأما قول الإمام ابن كثير رحمه الله في التفسير ٥٩/٣ عند تفسير آية رقم ٨١ من سورة الإسراء : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل... ﴾ وقد أورد هذا القول ، وجعله حديثاً فقال : وفي الحديث : لما يزع... » ففي تعبيره هذا نظر ، حيث يُوهم أنه مرفوع إلى النبي ﷺ .

١١- مايقال عند استلام الحجر الأسود أو الإشارة إليه :

تقدَّم أن مِن مواطن إجابة الدعاء : عند استلام الحجر الأسود ، وقد رُويت أحاديث وآثار عديدة فيما يقال من الأدعية والأذكار عند استلام الحجر ، يَحْسُن الوقوف عليها والدعاء بها لكونها مأثورة ، ولمستلم الحجر أن يختار منها ماتيسَّر له ، وإن استوعبها خلال أطوفته كان أفضل ، وإن دعا بما شاء من خيري الدنيا والآخرة ، فهو في سعة من الأمر ، ولكن يَبْقَى لهذه الأدعية المأثورة فضلُها .

وبعض هذه الأذكار والأدعية يأتي بها الطائف عند كل استلام في كل طوْفة ، فقد « كان النبي ﷺ كلَّما أتى الركنَ أشار إليه بشيء كان عنده ، وكبَّر »[1] .

ويُنَبَّه هنا أنه لايُشترط للقيام بهذه الدعوات والأذكار الوقوفُ عند الحجر أو امتداده ، بل يجب وقت الزحام تجنّب الوقوف من أجل الإشارة إليه ، فالمُسْلِمُ النابه حريص على ألا يكون سبباً في زيادة الزحام المؤدّي لإيذاء المسلمين الطائفين ، وتعطّل سَيْرِهم ، وهكذا يبدأ بالدعاء أو الذكر عند استلام الحجر أو الإشارة إليه ، ثم يُكْمله وهو مستمر في طوافه دون توقف .

❋ وفيما يلي جملةٌ من الأدعية والأذكار المأثورة عند استلام الحجر :

١- (الله أكبر) .

روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

---

(١) صحيح البخاري ، الحج ، باب التكبير عند الركن ٤٧٦/٣ .

« طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير ، كلّما أتى الركنَ أشار إليه بشيء كان عنده ، وكبّر »[١] .

٢- (بسم الله والله أكبر ، إيماناً بالله وتصديقاً بما جاء به رسول الله ﷺ) .

روى الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه الأم[٢] عن ابن جريج قال : أُخبرت أنَّ بعض أصحاب النبي ﷺ قال : يارسول الله كيف نقول إذا استلمنا الحجر ؟ .

قال : « قولوا : بسم الله والله أكبر ، إيماناً بالله وتصديقاً بما جاء به رسول الله ﷺ » .

٣- (اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك وسنة نبيك ، ثم يصلي على النبي ﷺ) .

رُوي هذا الذكر عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقوله إذا استلم الحجر[٣] .

٤- (بسم الله والله أكبر) .

رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه إذا استلم الحجر قال ذلك[٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، الحج ، باب التكبير عند الركن ٤٧٦/٣ .

(٢) ١٧٠/٢ .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٠/٣ رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

(٤) الفاكهي ١٠٢/١ ، الأزرقي ٣٣٩/١ ، سنن البيهقي ٧٩/٥ وصحّح إسناده النووي في المجموع ٣١/٨ ، وابن حجر في التلخيص الحبير ٢٤٧/٢ .

٥- (ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار) .

رُوي أنه كان يدعو به عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إذا استلم الركن[١] .

٦- (بسم الله والله أكبر على ماهدانا ، لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، آمنتُ بالله وكفرت بالطاغوت وباللاَّت والعُزَّى ، وما يُدْعَى من دون الله ، إن وليِّيَ الله الذي نَزَّل الكتابَ وهو يتولَّى الصالحين) .

رُوي أنه كان يدعو به عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كبَّر لاستلام الحجر[٢] .

٧- (آمنت بالله وكفرت بالطاغوت) .

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه إذا استلم الحجر قال ذلك[٣] .

٨- (لاإله إلا الله ، والله أكبر ، اللهم تصديقاً بكتابك وسنة نبيك ﷺ) .

رُوي عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه كان يدعو به إذا استلم الحجر[٤] .

---

(١) الفاكهي ١/١٠٠ .

(٢) الأزرقي ١/٣٣٩ .

(٣) الفاكهي ١/٩٩ .

(٤) مصنف عبد الرزاق ٥/٣٣ .

٩- (صلى الله على محمد وعلى أبينا إبراهيم) .

روى الفاكهي[(١)] « عن ابن أبي عمر قال : حدثنا سفيان قال : حَجَجْتُ سنة كذا وكذا - لم أحفظ أيَّ سنةٍ ذكر - فما كان أكثر كلام الناس عند الركن إلا : صلى الله على محمد وعلى أبينا إبراهيم » .

قيل لسفيان : وأنتَ تقوله اليوم ؟ قال : نعم إذا ذَكَرْتُه » .

١٠- « وكان أبو جعفر (الباقر) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم إذا استلم الركن قال :

اللهم أمانتي أدَّيتُها ، وميثاقي وَفَّيتُ به ، لِيَشهدَ لي عندك بالوفاء »[(٢)] .

١٢- ما يحسُن ملاحظته عند تقبيل الحجر الأسود[(٣)] :

يحسُن لمن أراد أن يقبِّل الحجر الأسود أن يلاحظ حال تقبيله تلك المعاني السامية ، والفضائل العالية لهذا الحجر المكرَّم ، من أنه يمين الله في الأرض ، وأنه ياقوتة من يواقيت الجنة ، وغير هذا من خصائصه وفضائله ، ولْيُقَم مستَلِمُه بما يجبُ من حق التعظيم والاحترام .

ولْيَتذَكَّر هذه النعمة الكبرى ، والمنحة العظمى التي أكرمه الله تعالى بها ، فيقوم بالشكر والوفاء لله تعالى .

---

(١) ١/١٠٤ .

(٢) الفاكهي ١/٨٥ ، وسمِّي أبو جعفر بالباقر ، مِن : بَقَرَ العلم أي شقَّه ، فعَرَفَ أصلَه وخَفِيَّه ، كما في سير أعلام النبلاء ٤/٤٠٢ .

(٣) نبَّه إلى هذه الملاحظة الإمام ابن علاّن في (العَلَم المفرد) نقلاً عن جمال الدين الطبري إمام مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام في كتابه : (التشويق) .

ولْيَلحَظْ مقبِّلُه أنه يضع شفتيه على موضعٍ وَضَعَ رسول الله ﷺ وغيرُه من الأنبياء والرسل شفاههم عليه، وأنه يباشر محلاً باشروه بأكفّهم، فيستحضر بذلك هيبَتهم وأحوالهم، والاقتداءَ بهم صورة ومعنى.

ولْيَعْلَم أن الحجر الأسود يشهد ويشفع لمن استلمه بحق ووفاء، فليجتهد أن يستلمه بإخلاص النية والطاعة لله تعالى.

ولْيَسْكُبْ عنده الدموعَ والعبرات، كما فاضت عينا رسول الله ﷺ عند تقبيله.

وهكذا يستحضر ماأُودِعَه هذا الحجر المكرَّم من المعاني الجليلة والآيات العظيمة.

* * * * *

الباب الرابع
بعض الأحكام الفقهية
المتعلقة باستلام الركن اليماني

لما تكلَّمت عن الحجر الأسود واستلامه وتقبيله ، رأيت من المناسب هنا أن أذكر ثلاثة فروع فقهية تتصل بحُكم استلام الركن اليماني ، وذلك لكثرة وقوعها ، وشدَّة السؤال عنها ، فما مِن لحظةٍ تخلو إلا ومستلمٌ لهذا الركن اليماني المبارك ، ومشيرٌ إليه ، يرجو بذلك الخيرات والبركات .

١- تقبيل الركن اليماني :

اتفق الفقهاء رحمهم الله على استحباب استلام الركن اليماني ، بمسحه بالكفَّين أو باليمين ، اقتداء برسول الله ﷺ ، وابتغاء تحصيل الأجر الكبير والثواب العظيم ، حيث إن مَسْحَه يحطّ الخطايا حطًّا ، كما تقدم في الحديث[١] .

ولكن هل يُقبَّل الركن اليماني مع استلامه باليد كالحجر الأسود أم لا ؟ .

والجواب :

---

(١) ص ٤٤ .

وَرَدَ حديث صريح عن النبي ﷺ في مشروعية ونَدْب تقبيل الركن اليماني مع استلامه باليد .

وهو ماوراه ابن خزيمة في صحيحه وغيرُه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« إن رسول الله ﷺ قَبَّل الركنَ اليماني ، ووَضَعَ خَدَّه عليه »[١] .

– وروى الفاكهي[٢] عن علي رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يراوح بين خَدَّيه على الركن اليماني ، يسأل الله تعالى الجنة ، ويتعوَّذُ بالله من النار » .

---

(١) صحيح ابن خزيمة ٢١٧/٤ ، سنن الدارقطني ٢٩٠/٢ ، الفاكهي ١٣٨/١ ، الأزرقي ٣٣٨/١ ، سنن البيهقي ٧٦/٥ وقال : تفرَّد به عبد الله بن مسلم بن هُرْمُز ، وهو ضعيف . اهـ .

لكن بالنظر في حال عبد الله بن مسلم بن هُرمُز تجد أنه لم يُتَّفق على ضعفه ، بل قال عنه الإمام أحمد : صالح الحديث ، كما في المغني للذهبي ٥٠٩/١ ، وحاشية سبط ابن العجمي على الكاشف للذهبي ٥٩٨/١ (٢٩٨٢) .

وذكره الذهبي في الكاشف في موضعين : الأول ٥٩٨/١ وقال عنه : ضعيف ، وفي الموضع الثاني ٦٠٥/١ (٣٠٣٥) قال عنه : حسَّن الترمذيُّ له . اهـ . ولم يصفه في هذا الموضع بالضعف ، وقد حسَّن له الترمذي لذاته لالغيره ، حيث قال : حسن غريب ، ينظر سنن الترمذي ٤١/٤ (١٠٨٥) ، وفي خلاصة تنهيب تهذيب الكمال للخزرجي قال عنه في الموضع الثاني ٢١٧/١ : وثَّقه ابن حبان .

وعلى هذا لايُحكم بضعف الحديث ، بل هو في درجة الحسن .

(٢) ١٣٧/١ ، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٤٠/٤ مرسلٌ عن مجاهد أن النبي ﷺ كان... » .

– وعن عمرو بن ميمون الأَوْدي[١] « أنه كان يستلم الركن اليماني ، ويَضَعَ خَدَّه عليه »[٢] .

فحديث ابن عباس المتقدم في تقبيل النبي ﷺ للركن اليماني نصٌّ في المسألة ، وهو حديث حسن يُحتج به ، ولو سُلِّم الحكم عليه بالضَّعف ، فإن « جمهور المحدثين والعلماء على جواز بل استحباب العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ما لم يكن موضوعاً »[٣] ، كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى .

وقد قال بجواز تقبيله طائفة من الفقهاء :

– فعن الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة رحمهما الله تعالى روايةٌ أنه يرى استلام الركن اليماني مع تقبيله[٤] .

وعبارة الحصكفي في الدر المختار[٥] « يُندَبُ استلام الركن اليماني بلاتقبيل ، وقال محمد : هو سُنَّة ويُقبِّله ، والدلائل تُؤيِّده » اهـ .

قال ابن عابدين عند قوله (تؤيّده) : أي تُؤيِّد قولَه بكونه سُنَّة ، وبأنه يُقبِّلُه » .

---

(١) الإمام الحجة ، كان إذا رُئي ذُكِرَ الله ، توفي سنة ٧٥هـ وقيل ٧٦ وقيل ٧٤ ، له ترجمة في سير أعلام النبلاء ١٥٨/٤ .

(٢) الفاكهي ١٣٧/١ .

(٣) الأذكار للنووي ص ٧ .

(٤) المبسوط للسرخسي ٤٩/٤ ، تبيين الحقائق ١٨/٢ ، فتح القدير ٣٥٩/٢ ، مناسك الإمام علي القاري ص٩٣ ، الدر المختار للحصكفي (مع حاشية ابن عابدين) ٤٩٨/٢ .

(٥) ٤٩٨/٢ مع حاشية ابن عابدين ، وينظر حاشية الطحطاوي على الدر ٤٩٩/١ .

وذَكَرَ ابن نُجَيْم[١] دليلاً لقول محمد حديث ابن عباس المتقدم في تقبيله ﷺ للركن اليماني .

- وقال الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الأم[٢] : « وأُحِبُّ أن يستلم الركن اليماني بيده ويُقبِّلها ، ولايُقبِّله لأني لم أعلم أحداً روى عن النبي ﷺ أنه قبَّل إلا الحجر الأسود ، وإن قبَّله **فلابأس به** » .

- وبجواز تقبيله صرَّح إمام وفقيه الشافعية عند المتأخرين ، الإمام ابن حجر الهيتمي في حاشيته على مناسك النووي[٣] .

- ونَقَلَ الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان)[٤] روايةً عن الإمام أحمد بتقبيل الركن اليماني .

ثم رأيت في (المبدع)[٥] لابن مفلح أن الخِرَقي وصاحب الإرشاد (ابنَ أبي موسى) جزَمَا بتقبيله ، لما رُويَ في ذلك .

- وقال المِرْدَاوي في (الإنصاف)[٦] من كتب الحنابلة المعتمدة : في تقبيل الركن اليماني وجهان . اهـ .

- وقال الحافظ ابن حجرٍ[٧] بعد أن ذَكَرَ أن الجمهور[٨] على عدم تقبيل الركن اليماني قال : « واستَحَبَّ بعضُهم تقبيلَه » .

---

(١) البحر الرائق ٣٥٥/٢ . (٢) ١٧٠/٢ . (٣) ص٢٤٦ .

(٤) ٢١٧/٥ . (٥) ٢١٦/٣ . (٦) ٧/٤ .

(٧) فتح الباري ٤٧٥/٣ .

(٨) وعلى قول الجمهور المذاهب الفقهية الأربعة ، ينظر : مناسك الإمام علي القاري ص٩٣ ، الشرح الكبير ٤٠/٢-٤١ ، المجموع للنووي ٣٤/٨ ، كشاف القناع ٤٧٩/٢ .

- وللعلامة الفقيه الشيخ محمد ملا فرّوخ[1] ، أحد علماء القرن الثاني عشر رسالة في جواز تقبيل الركن اليماني سمَّاها : (إعلامُ القاصي والداني بجواز تقبيل الركن اليماني) .

وهكذا تجد أن الأمر فيه سعة ، ولايُنكَر على من قبَّل الركن اليماني عند استلامه ، بل الدليل مع القائلين بتقبيله .

٢- تقبيل اليد بعد استلام الركن اليماني :

إذا استلم الطائفُ الركن اليماني بيده ، فهل يُقَبِّلُها أم لا ؟ .

ذهب إلى تقبيلها الشافعية[2] ، وهو قول عن الإمام مالك رحمه الله ، ورواية عن محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله .

ويُستدل لهم في ذلك بماروي عن جملة من الصحابة والتابعين ، أنهم كانوا يقبِّلون أيديهم إذا استلموا الركن اليماني ، منهم : جابر وأبو سعيد الخدري وأبو هريرة وابن عمر وسعيد بن المُسيَّب والقاسم بن عمر وسالم ابن عبد الله وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمر بن عبد العزيز[3] .

---

(١) محمد بن عبد العظيم الرومي الأصل ، المكي المولد والوفاة ، المتوفى سنة ١٠٦١هـ إمام المقام الحنفي وخطيب المسجد الحرام ؛ تولّى الفتوى وهو ابن عشرين سنة ، له ترجمة في نشر النَّور والزهر للمرداد (المختصر ص٤٨٧) .

(٢) ينظر لقول الشافعية وبقية الأقوال : المجموع للنووي ٣٤/٨ ، مناسك الإمام علي القاري ص٩٣ ، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ٤٠/٢-٤١ ، هداية الناسك ص٨١ ، كشاف القناع ٤٧٩/٢ ، أضواء البيان للشنقيطي ٢١٧/٥ .

(٣) ينظر لهذه الآثار : الفاكهي ١١٨/١ و ١٢١ و١٤٢ و١٤٣ و١٥٧ ، مصنف عبدالرزاق ٤٢/٥ ، الأزرقي ٣٤٤/١ .

- وأيضاً يُستدل مع القول بتقبيل النبي ﷺ للركن اليماني ، بالقياس على الحجر الأسود .

وذهب الحنفية والمالكية والحنابلة في المشهور عنهم أنه يستلمه ولايُقبِّل يدَه ، بل يَضَعُها على فِيه من غير تقبيل .

٣- الإشارة إلى الركن اليماني عند عدم استلامه :

إذا لم يستلم الطائفُ الركنَ اليماني لزحمةٍ أو تَرَكَه من نفسه ، فهل يُشير إليه كما يُفْعَل عند الحجر الأسود أم لا ؟ .

ذَهَبَ إلى مشروعية الإشارة إليه حال عدم استلامه الشافعيةُ[(١)] والحنابلةُ[(٢)] وروايةٌ عن محمد بن الحسن الشيباني[(٣)] رحمه الله .

وذهب الحنفية[(٣)] إلى عدم الإشارة إليه ، حيث إن الإشارة لاتنوب عن استلامه .

أما المالكية[(٤)] فقد كرهوا الإشارة إليه .

ويُستدل لمن رأى الإشارة إليه بالقياس على الحجر الأسود ، وبخاصة عند من يرى تقبيل الركن اليماني .

* * * * *

---

(١) أسنى المطالب شرح روض الطالب للشيخ زكريا الأنصاري ٤٨٠/١ .

(٢) المبدع شرح المقنع ٢١٧/٣ ، شرح منتهى الإرادات ٥١/٢ .

(٣) مناسك الإمام علي القاري ص٩٣ .

(٤) هداية الناسك ص٨١ .

جُملة من الأشعار في مدح الحجر الأسود

١- قال أبو طالب عمّ النبي ﷺ في قصيدته المشهورة في مدح النبي ﷺ ، وقد تعرَّض لذكر البيت الحرام والحجر والمقام ، ومما قاله[1] :

وبالبيتِ حَقِّ البيتِ مِنْ بَطْنِ مكة ... وبالله إنَّ الله ليس بغافِلِ

وبالحَجَرِ المُسْوَدِّ إذْ يَمْسَحُونَه ... إذا اكْتَنَفُوه بالضُّحى والأَصَائِلِ

وموطئُ إبراهيمَ في الصَّخْرِ رَطْبة ... على قَدَمَيْه حافياً غيرَ ناعِلِ

٢- « وقال الأديب ابن نُبَاتَة - محمد بن محمد ، ت ٧٦٨هـ - في قصيدةٍ مَدَحَ في أولها الكعبةَ المشرَّفة ، ثم استخلص لمدح النبي ﷺ ، وأوردها في رِحلته المسمَّاة بـ : « المجاز في حقيقة الحجاز » فقال عن الحجر الأسود :

أَلَمْ تَرَ خَالَها المُسْوَدَّ أَضحى ... يَفُوقُ على الصَّبَاحِ المُستَطِيرِ

تُقَبِّلُه الطوائفُ طائفاتٍ ... فيا شَرَفَ المَبَاسِمِ والثّغُورِ

تَكَوَّنَ دُرَّةً بَيْضاءَ لكن ... تَسَوَّدَ مِن ذُنُوبِ أُولي القُصُورِ

أُقَبِّلُه لعلَّ فَمِي يُلاقِي ... مَكَاناً فَازَ بالهادي البَشِيرِ

محمدِ الذي سَادَ البَرَايا ... وأَخجَلَ طَلعَةَ القَمرِ المُنِيرِ »[2]

---

(١) ينظر سيرة ابن هشام مع الروض الأُنف ١٣/٢ .

(٢) العلم المفرد في فضل الحجر الأسود لابن علان . (مخطوط) .

٣- وفي شفاء الغرام[1] للفاسي رحمه الله قال : « أنشدني العلامة بدر الدين أحمد بن محمد بن الصاحب المصري لنفسه إجازة قولَه :

لِلحَجَرِ الأسودِ كم لاَثِمِ   وسَاجدٍ مَرَّغَ فيه الجِبَاه
تَزْدَحِمُ الأفواهُ في وِردِه   كأنَّهُ يَنبُوعُ ماءِ الحَيَاه

٤- وقوله فيما أنبأنا به :

أَقُولُ وقَد زُوحِمتُ عن لَثْمِ أسوَدٍ
من البيتِ مَحْجُوبٍ،فما السِّرُّ يُحْجَبُ
فإنَّكَ مِنِّي بالمَحَلِّ الذي به
مَحَلُّ سَوادِ العَينِ أو أَنْتَ أقرَبُ »

٥- وللإمام الحافظ السيوطي - عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١هـ - في ساجعة الحرمين[2] :

قِفْ واستَلِمْ رُكناً لأشرَفِ منزلِ   واخضَعْ وذُلَّ تَفُزْ بكُلِّ مُؤَمَّلِ
وإذا خَلاَ الحَجَرُ المُعَظَّمُ قَدْرُهُ   فاليُمْنُ في تلكَ اليَمينِ فَقَبِّلِ

٦- وقال شاعر الإنسانية المؤمنة الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري رحمه الله ، المتوفى أواخر شوال سنة ١٤١٢ :

الحَجَرُ الأسودُ قَبَّلتُه   بشَفَتي قَلبي وكُلِّي وَلَهْ
لاَ لاِعتِقَادي أنَّهُ نَافِعٌ   بَل لِهُيَامِي بالذِي قَبَّلَهْ
مُحمَّدٌ أَطهَرُ أنفاسِهِ   كَانَت على صَفْحَتِه مُرسَلَهْ

---

(١) ١٧١/١ .

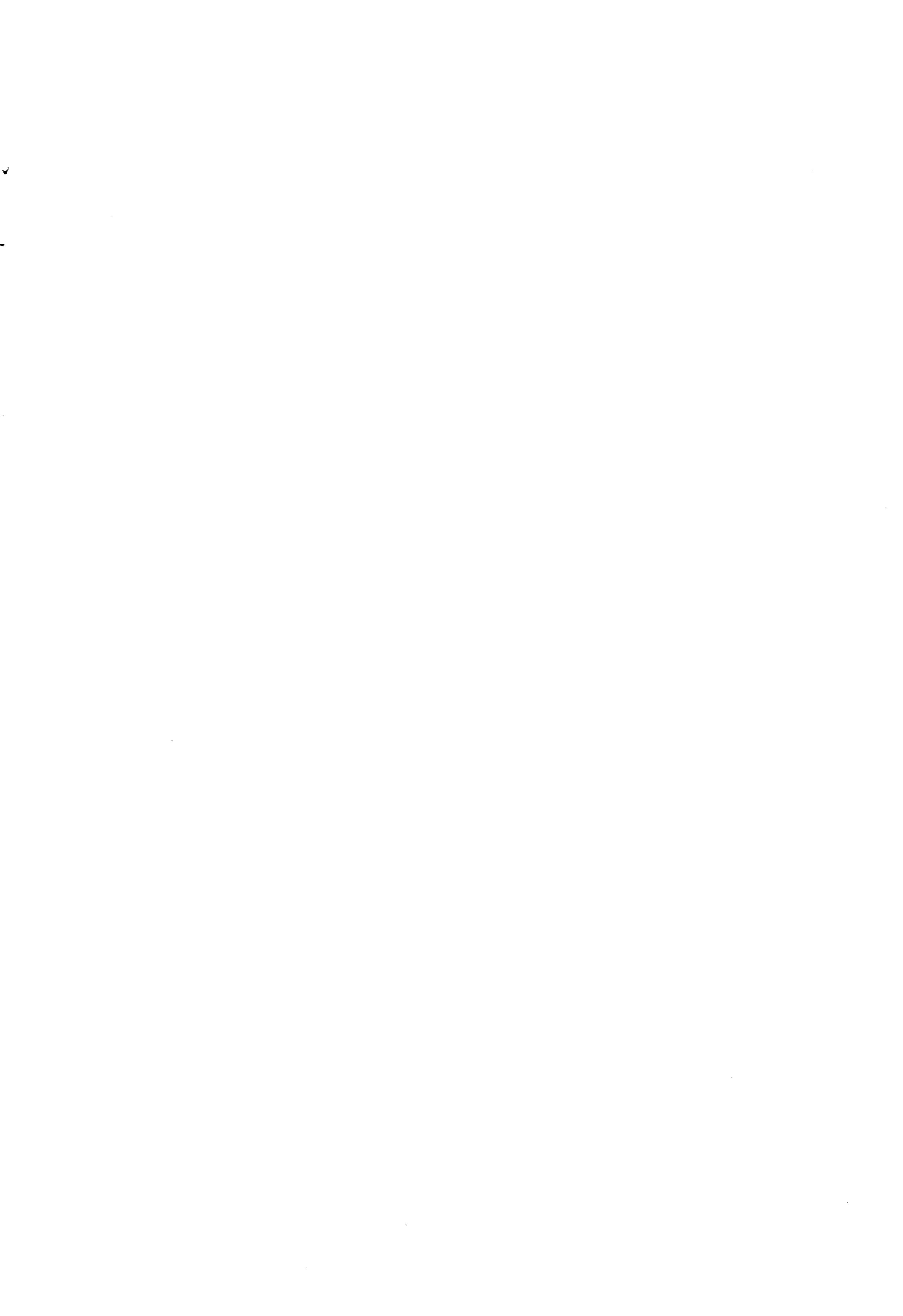
(٢) العلم المفرد لابن علان (مخطوط) .

قَبَّلــــهُ والنُّـــــورُ مِــــنْ ثَغْـــرِهِ　　يُشْــرِقُ آيــاتِ هــدىً مُنْزَلَـــهْ
قَبَّلـــــتُ ماقَبَّلَـــــهُ ثَغْـــرُهُ ...　　النَّـاطِقُ بــالوَحي ابتغَـاءَ الصِّلَـهْ

* * * * *

❋ هذا والحمد لله على مايسَّره وأعان عليه من الكتابة عن الحجر الأسود ، ويلي هذا : فضل مقام إبراهيـم عليـه الصـلاة والسـلام ومـا يتعلق به .

* * * * *



فضل

مَقَامِ إبرَاهِيمَ عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام

وذكرُ تاريخه وصفته وخصائصه وآياته وبركات الصّلاة والدّعاء خلفَه، وجملةٍ من أخبار السّلَف في تحرّيهم الجلوس خلفَه



الباب الأول

مقام إبراهيم الخليل

تعريفه ، وسبب تسميته ، وتطاوله في السماء ، وصفته

الفصل الأول : التعريف بمقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

المَقَام في اللغة[١] : بفتح الميم موضع القَدَمَيْن ، مِن قام يقوم ، يكون مصدراً واسماً للموضع .

ومقامُ إبراهيم هو الحَجَر الذي قام عليه نبيُّ الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حين ارتفع بناؤه للبيت ، وشقَّ عليه تناول الحجارة ، فكان يقوم عليه ويبني ، وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة .

وهو أيضاً الحجر الذي قام عليه للنِّداء والأَذَان بالحج في الناس .

وفي هذا الحجر المكرَّم أثرُ قَدَمي إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، حيث جَعَلَ الله تعالى تحتَ قَدَمَيْه من ذلك الحجر في رطوبة الطين ، حتى غاصَت فيه قَدَمَاه .

وهو الحجر الذي تَعْرِفُه الناسُ إلى اليوم عند الكعبة المشرَّفة ، الذي يُصَلُّون خَلْفَه ركعتي الطواف .

---

(١) ينظر القاموس المحيط (قوم) ، وبصائر ذوي التمييز ٤/٣١٠ .

وهذا القول في التعريف بمقام إبراهيم هو القول المصحَّحُ عند جمهور العلماء والمفسِّرين المُحقِّقين[١] .

وهناك أقوالٌ أخرى في المراد من (مقام إبراهيم) مرويةٌ عن بعض المفسِّرين المتقدمين ، أذكرها – وإن كانت مرجوحة – لاستيفاء القول[٢] :

فقيل : مقام إبراهيم : هو الحجُّ كله .

وقيل : هو عَرَفة ومُزْدَلفة والجِمار .

وقيل : هو الحَرَم كله .

❋ ومما يدل على صحة القول الأول الذي عليه الجمهور :

١– أن الله تعالى أَمَرَنا بفِعل الصلاة خلفَ المقام في قوله تعالى : ﴿ واتَّخِذُوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾[٣] ، وليس للصلاة تَعَلُّق بالحرم ولاسائر المواضع التي ذُكرت في الأقوال الأخرى[٤] .

٢– « روى أنس عن عمر رضي الله عنهما قال : قلت : يارسول الله ، لو اتَّخَذْتَ من مقام إبراهيم مُصَلًّى ؟ فأَنْزَلَ اللهُ تعالى : ﴿ واتَّخِذوا من مقامِ إبراهيم مُصَلًّى ﴾ »[٥] .

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٢/٥٣٧ ، وتفسير القرطبي ٢/١١٢ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٤/٥٣ ، وفتح الباري لابن حجر ٢/٤٩٩ و ٣/٣٤٠ ، وتفسير الآلوسي (روح المعاني) ١/٣٧٩ وغيرها .

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢/٥٣٥ ، والتفسير الكبير للرازي ٤/٥٣ وغيرهما .

(٣) من سورة البقرة ، آية رقم ١٢٦ .

(٤) ينظر أحكام القرآن للجصاص ١/٧٥ ، فتح الباري ٢/٤٩٩ .

(٥) صحيح البخاري ، الصلاة ، باب ماجاء في القبلة ٢/٥٠٤ .

وصَلَّى النبيُّ ﷺ خلفَ المقام ، كما في حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم في صحيحه[١] في صفة حجة النبي ﷺ .

قال : « فرَمَلَ ثلاثاً ، ومَشَى أربعاً ، ثم نَفَذَ إلى مقام إبراهيمَ عليه الصلاة السلام ، فقَرَأ : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصلَّى ﴾ ، فجَعَلَ المَقامَ بينه وبين البيت ... » الحديث .

« فدلَّ على أنَّ مرادَ الله تعالى بذِكرِ المقام هو الحَجَرُ »[٢] .

٣- « إن هذا الاسم في العُرْفِ مُختَصٌّ بهذا الحجر الكريم ، ولأنَّ الحَجَر صار تحت قَدَمَيه في رطوبة الطِّين حين غاصت فيه رجلاه ، وفي ذلك معجزةٌ له ، فكان اختصاصه به أقوى من اختصاص غيره ، فكان إطلاقُ هذا الاسم عليه أَوْلَى »[٣] .

* * * * *

---

(١) ٨٨٧/٢ .

(٢) ينظر أحكام القرآن للجصاص ٧٥/١ ، وفتح الباري ٤٩٩/٢ .

(٣) التفسير الكبير للرازي ٥٣/٤ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٣٨١/١ .

الفصل الثاني

سبب تسمية هذا الحجر الكريم بمقام إبراهيم

سُمِّي هذا الحجر الكريم بمقام إبراهيم ، لقيام إبراهيم الخليل عليه حين ارتفع بناؤه للبيت ، فكان يرتفع عليه ويبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة .

روى البخاري رحمه الله في صحيحه[١] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة إبراهيم عليه السلام وبنائه للبيت قال : قال رسول الله ﷺ :

« فعند ذلك رَفَعَا - إبراهيم وإسماعيل - القواعدَ من البيت ، فجَعَلَ إسماعيلُ يأتي بالحجارة ، وإبراهيمُ يَبْنِي ، حتى إذا ارتفعَ البناءُ جاء بهذا الحجر فوَضَعَه له ، فقام عليه ، وهو يَبْنِي وإسماعيلُ يناوله الحجر ، وهما يقولان : رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إنَّك أنت السميع العليم .

قال : فجَعَلا يَبْنِيان حتى يدورَا حولَ البيت ، وهما يقولان : ربَّنا تَقَبَّل مِنَّا إنك أنت السميع العليم » .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : « قوله - جاء بهذا الحجر - يعني المقام ، وفي رواية إبراهيم بن نافع : حتى إذا ارتفع البناء وَضَعُفَ الشيخُ عن نَقْلِ الحجارة ، فقام على حَجَر المقام »[٢] اهـ .

وفي رواية للأزرقي في أخبار مكة[٣] : « فقاما - إبراهيم وإسماعيل - يحفران عن القواعد ، ويقولان : رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إنكَ أنتَ السميع العليم ،

---

(١) كتاب الأنبياء ، باب يزفون ٣٩٨/٦ .

(٢) فتح الباري ٤٠٦/٦ .

(٣) ٣٢/٢ .

ويحمل له إسماعيلُ الحجارة على رَقَبته ، ويَبْني الشيخُ إبراهيم ، فلما ارتفع البُنيان ، وشَقَّ على الشيخ تناوله ، قرَّب له إسماعيلُ هذا الحجر ، فكان يقوم عليه ويبني ، ويحوِّله في نواحي البيت ، حتى انتهى إلى وجه البيت .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : فذلك مقام إبراهيم عليه السلام ، وقيامه عليه » اهـ .

تنبيه :

ورد في رواية أخرى ضعيفة مرجوحة غير مصَحَّحة[1] سببٌ آخر لتسمية هذا الحجر الكريم بمقام إبراهيم ، وهي : « أن إبراهيم الخليل حين جاء لزيارة وتفقّدِ ولده إسماعيل ، ولم يجدْه ، طَلَبَت منه زوجة إسماعيل عليه السلام أن تغسل له رأسَه ، إكراماً له ، فوَضَعَت هذا الحجر تحتَ قدم إبراهيم عليه السلام وهو راكب ، فَغَسَلَتْ شِقَّ رأسه الأول ثم دَفَعَته من تحته ، وقد غابت رجْلُه في الحجر ، فوَضَعَته تحت رِجْله الأخرى ، وغَسَلَت شِقَّ رأسه الآخر ، فغابت رِجْلُه أيضاً فيه » .

وقد ذكر هذه الرواية الإمام القرطبي في تفسيره[2] وضعَّفَها ، وكذلك الحافظ ابن كثير[3] ، وذَكَر تضعيفَ سعيد بن جبير لها .

* * * * *

---

(١) ينظر تفسير الطبري ٥٣٧/١ ، والتفسير الكبير للرازي ٥٣/٤ ، وتفسير القرطبي ١١٣/٢ وغيرها .

(٢) ١١٣/٢ .

(٣) في التفسير ١٦٩/١ وكذلك ضعَّفها الحلبي في السيرة الحلبية ١٥٧/١ .

الفصل الثالث

* قيام إبراهيم الخليل على المقام للأذان بالحج :

إن هذا الحجر المكرَّم (مقام إبراهيم) الذي قام عليه إبراهيم الخليل لبناء البيت ، هو نفسه الذي قام عليه حين أُمِر بالأذان بالحج ، ولامانع من تكرُّر صعوده على المقام مرةً للبناء ، وأخرى للنِّداء ، وهو صريح الروايات في ذلك .

ففي فتح الباري[1] للحافظ ابن حجر رحمه الله قال :

« زاد في حديث عثمان : فلما فَرَغَ إبراهيمُ من بناء الكعبة ، جاء جبريل فأَرَاه المناسكَ كلَّها ، ثم قام إبراهيم على المقام فقال : ياأيها الناس : أجيبوا ربَّكم ، فَوَقَفَ إبراهيمُ وإسماعيلُ تلك المواقف .

وروى الفاكهي[2] بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : قام إبراهيم على الحَجَر فقال : يا أيها الناس : كُتِبَ عليكم الحجُّ ، فأسْمَعَ مَن في أصلاب الرِّجال وأرحام النِّساء ، فأجابَهُ من آمَنَ ، ومَنْ كان سَبَقَ في عِلم الله أنَّه يحجُّ إلى يوم القيامة : لَبَّيك اللهم لَبَّيك » اهـ من الفتح .

* تطاولُ المقام وعلوُّه بإبراهيم الخليل في السماء :

١- تطاول المقام عند قيامه عليه لبناء البيت :

اشتهر عند مؤرِّخي مكة المتأخرين أن المقام تطاوَلَ وعَلا في السماء

---

(١) ٦/٦٠٤ وهي رواية صحيحة أو حسنة على قاعدة ابن حجر في الفتح ، حيث أوردها في زيادات الباب .

(٢) أخبار مكة ١/٤٤٦ .

حين ارتفع إبراهيم الخليل ببناء الكعبة المشرفة ، فكان الحجر (مقام إبراهيم) يرتفع بارتفاع الجدار عند البناء ، ويَقْصُرُ به إلى أن يتناول الحجارة من إسماعيل عليه السلام ، ثم يطول المقام ويعلو به إلى أن يَضَعَها في علوِّها ، وهكذا حتى انتهى من بناء البيت .

هذا الخبر عن علوِّ المقام عند البناء ، أقدمُ مَن نَصَّ عليه - فيما اطَّلعتُ عليه - الإمامُ المفسِّر المحدِّث المقرئ النَّحْوي أبو حَيَّان محمدُ ابن يوسف ، المتوفى سنة ٧٤٥هـ ، وذلك في تفسيره[١] : (البحر المحيط) ، ثم رأيت النص على ذلك عند جملة من العلماء ممن جاء بعده .

فرأيته عند الإمام الفقيه الشافعي المكي ابن حجر الهيتَمي أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٩٧٤هـ في كتابه تحفة المحتاج بشرح المنهاج[٢] ، ورأيته أيضاً في كتاب السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ﷺ)[٣] للإمام علي بن برهان الدين الحلبي المتوفى سنة ١٠٤٤هـ ، ثم عند الإمام ابن عَلاَّن الصدّيقي الشافعي المكي محمد علي ابن محمد ، المتوفى سنة ١٠٥٧هـ ، في رسالة له عن الحجر الأسود وفضله سماها : (العَلَم المفرد)[٤] ، ثم عند الشيخ أحمد بن محمد

---

(١) ٣/٧ .

(٢) ٤/٩٢ .

(٣) ١/١٥٧ .

(٤) مخطوط .

الشنقيطي الشهير بالبدوي المتوفى سنة ١٢٢٠هـ في كتابه : (عمود النَّسب في أنساب العرب) وهو نَظْم[١] .

ونقل الشيخ محمد عابد حسين المالكي المكي المتوفى سنة ١٣٤١هـ ، في كتابه : (هداية النَّاسك على توضيح المناسك)[٢] كلامَ ابن حجر الهيتمي المتقدِّم ذكره في تحفة المحتاج ، معتمِداً له ، لكن دون أن يصرِّح بالنَّقْل عنه .

ثم جاء الشيخ محمد طاهر الكردي المكي ، المتوفى سنة ١٤٠٠هـ ونَقَلَ كلام صاحب نَظْم عمود النسب ، معتمِداً له في كتابه : (مقام إبراهيم)[٣] وكذلك نَقَلَه معتَمِداً عليه الدكتور السيد محمد علوي المالكي في كتابه : (في رحاب البيت الحرام)[٤] .

هذا ماوقفت عليه في ذلك من زمن أبي حيان (القرن الثامن) فمَن بعده ، أما قبل هذا فلم أقف على شيء في ذلك بعد ، وأسأل الله تعالى أن يدُلَّنِي على ركن أشدّ من هذا آوي إليه ، ليطمئنَّ قلبي ، مع اعتقادي تماماً أنَّ الإمام أباحيان لايأتي بهذا الخبر من جَعْبَته ، لاسيما أنه خبر ، ولابد أنه ناقل ، لكن لم يصرِّح لنا بنَقْله ، وكذلك مَن جاء بعده ممَّن

---

(١) ٥٩/١ مع شرحه لابن أخيه : حماد بن الأمين الشنقيطي سماه : (تحفة الألباب شرح الأنساب) في ثلاث مجلدات .

(٢) ص٨٦ .

(٣) ص١٠٥ .

(٤) ص١١٩ .

ذكرتُهم ، حيث لم يكن نقلهم عن أبي حيان .

ومما يشهد لهذا التطاول ويشدّ عضد هذا الخبر ماسيأتي في الأثر التالي عن عبد الله بن سلام .

٢- تطاول المقام عند قيامه عليه للأذان بالحج :

جاء في بعض الآثار[١] عن الصحابي عبد الله بن سَلاَم رضي الله عنه قال : إنَّ حَجَرَ المقام لما صَعِدَ عليه إبراهيمُ الخليل للأذان بالحج ، تطاول المقامُ حتى كان كأطول جَبَلٍ من الجبال ، فنادى : ياأيها الناس أجيبوا ربكم ... » .

وهناك روايات أخرى[٢] : أن إبراهيم الخليل حين أراد الأذان بالحج صَعِدَ على جبل أبي قُبَيْس - المقابل للحجر الأسود - وقيل : على الصفا ، ولاتعارض بين هذه الروايات حيث يمكن الجمع بينهما بتكرّر النِّداء في هذه المقامات كلها[٣] .

الفصل الرابع : أَثَرُ قدَمَيْ إبراهيم الخليل في حَجَر المقام :

إن من آيات الله البَيِّنة الباقية على ممرّ الأزمان في حَرَمِ الله الآمن ، أثرُ قَدَمَي نبيِّه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في ذلك الحجر الكريم

---

(١) الأزرقي ٦٧١/١ و ٣٠/٢ ، وعن مجاهد عند الفاكهي ٤٤٨/١ ، ومصنف عبد الرزاق ٩٧/٥ ، وتابَعَهم على ذكر هذا الأثر المحبُّ الطبري في القِرى ص٦٠ ، والسيوطيُّ في الدر المنثور ١١٩/١ ، وغالبُ المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وأذِّن في الناس بالحج ﴾ من سورة الحج آية رقم ٢٧ .

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٤٤/١٧ ، والدر المنثور ٣٥٤/٤ .

(٣) ينظر روح المعاني للآلوسي ١٤٣/١٧ .

مقام إبراهيم) ، وقد جعل الله ذلك معجزةً له حين قام عليه ، وهو حَجَر صَلدٌ ، فَلاَنَ تحت قَدَمَيْه حتى أصبَحَ كالطِّين ، وغاصت قدماه فيه ، ثم لما رَفَعَ قدَمَيْه عنه خَلَق الله فيه الصَّلابة الحجرية مرة أخرى ، وَبَقِيَ أَثَرُهما ظاهراً فيه من ذلك العصر - من حوالي خمسة آلاف سنة[1] - إلى يومنا هذا ، إلى ماشاء الله تعالى .

وقد تغيَّر أثرُ قدَمَيه في ذلك الحجر عن هيئته وصفته الأصلية ، حتى أصبح موضعهما حفرتان ، وذلك بَمَسح الناس له بأيديهم خلال هذه القرون الطويلة ، قبل وَضْع المقام في مقصورة تحجُب مسَّه عن الناس ، حيث كان المقام مكشوفاً في الجاهلية وعدة قرون من عهد الإسلام .

❋ وقد كان أثر أصابع وأَخْمَص قدَمَيْه الشريفتين في الحجر واضحاً إلى زمن الصحابة رضوان الله عليهم .

« ففي موطأ ابن وَهْب عن يونس عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه قال : رأيتُ المقامَ فيه أصابع إبراهيم وأخمص قدميه ، غير أنه أَذْهبه مَسْح الناس بأيديهم »[2] .

وأخرج الأزرقي في أخبار مكة[3] والطبري في تفسيره[4] من طريق سعيد بن أبي عَرُوبَة عن قتادة في تفسير قوله تعالى ﴿ واتَّخِذُوا مِن مَقَامِ

---

(١) ينظر لهذا الحساب : ماسجَّلته في كتابي (فضل ماء زمزم) ص٣٣ .

(٢) فتح الباري ١٦٩/٨ وسكت عنه .

(٣) ٢٩/٢ .

(٤) ٥٣٧/١ وذكره ابن حجر في الفتح ١٦٩/٨ وسكت عنه .

إبراهيمَ مُصَلى ﴾ « قال قتادة : إنما أُمِرُوا أن يُصَلُّوا عنده ، و لم يُؤمروا بمَسحه ، ولقد تكلَّفت هذه الأمة شيئاً مما تكلَّفَتْه الأمم قبلها ، ولقد ذَكَر لنا بعضُ من رأى أثر عَقِبه وأصابعه ، فما زالت هذا الأمة يمسحونه حتى اخْلَوْلَقَ وانْمَحى » اهـ .

ويظهر من نص أثر سيدنا أنس رضي الله عنه المتقدم في الموطأ ، أن أثر الأصابع وأخمص القدمين كان ظاهراً لمتأمِّله ، لكن كاد أن ينمَحيَ بسبب مسح الناس للمقام ، و لم يذهب الأثرُ كلية ، فمَن عايَنه عن قُرْب شديد ، وأمعن النظر فيه ظَهَرَ له بعض ذلك الأثر ، كما ذكر هذا مؤرِّخُ مكة في القرن الرابع عشر الشيخ محمد طاهر الكردي حين فَتَحَ المقام ونَظَر فيه فقال :

« لم نشاهد أثراً لأصابع القدَمَين مطلقاً ، فقد انمحى من طول الزمن ومَسْح الناس بأيديهم ، وأما موضع العَقِبين فلا يتَّضح إلا لمن دَقَّق النظر وتأمَّل »[1] اهـ .

❋ « وإن أثر قدميه الشريفتين عليه الصلاة السلام في المقام كرَقْم الباني في البِنَاء ، لِيُذْكَرَ به بعد موته ، وكانت الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم مَن بَنَاه .

قال ابن حجر : وهي مناسبة لطيفة .

و لم تزل آثار قَدَمي إبراهيم عليه السلام حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم، حتى قال أبو طالب – عمُّ النبي ﷺ – في قصيدته المشهورة :

---

(١) مقام إبراهيم ص١١٣ .

ومَوْطِئ إبراهيمَ في الصَّخْر رَطْبَةٌ   على قَدَمَيه حافِياً غير ناعِلِ » اهـ من الفتح[١] .

* ويظهر من أثر القدمين الشريفتين في المقام ، أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان حافياً حين رَقَى المقام ، كما هو ظاهر أثر قَدَمَيْه ، وكما ذكر أبو طالب في قصيدته .

*** شِبْه قدمي سيدنا محمد ﷺ بقَدَمَيْ إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام :**

يقول الشيخ محمد طاهر الكردي المكي رحمه الله بعد فتحه للمقام ، وإمعان النظر في موضع قدمي إبراهيم الخليل ، وقياسه لذلك :

« والذي نَسْتَنتج من رؤيتنا للقدمين الشريفتين ، أن طولَ سيدنا إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه هو كطول الرجل العادي في زماننا – القرن الرابع عشر – ، لابالطويل ولابالقصير ، ولذلك كان نبيُّنا محمد ﷺ يُشْبه جدَّه إبراهيم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين الصلاة والسلام .

ففي صحيح البخاري[٢] قال رسول الله ﷺ في حديث الإسراء في وصف سيدنا إبراهيم عليه السلام :

ورأيتُ إبراهيم وأنا أَشْبَهُ ولده به »[٣] اهـ .

---

(١) فتح الباري ١٦٩/٨ نقلاً عن ابن الجوزي ، وينظر لقصيدة أبي طالب : سيرة ابن هشام (مع الروض الأُنف) ١٣/٢ .

(٢) كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ ٤٧٦/٦ .

(٣) مقام إبراهيم للشيخ محمد طاهر الكردي ص١١٦ .

❋ وكان أبو جَهْم بن حذيفة القرشي العدوي ، الصحابي الجليل ، وهو ممن بنى البيت في الجاهلية ، ثم عُمِّر حتى بنى فيه مع ابن الزبير ، وبين العمارتَيْن أزيد من ثمانين سنة ، وكان علامةً بالنَّسَب[١] ، فكان رضي الله عنه يقول : « مارأيت شَبَهاً كشَبَه قَدَم النبي ﷺ بقَدَم إبراهيم التي كنَّا نجدها في المقام »[٢] .

❋ وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن قريشاً أَتَوْا كاهنة فقالوا لها : أخبرينا بأَقْربنا شَبَـها بصاحب هذا المقام - أي مقام إبراهيم - فقالت : إن أنتم جَرَرْتُم كساءً على هذه السِّهْلة[٣] ، ثم مشَيْتم عليها أنبأتُكم ، فجرّوا ، ثم مشى الناس عليها ، فأبصرتْ أَثَرَ محمد ﷺ ، فقالت : هذا أقربكم شَبَهاً به ، فَمكثُوا بعد ذلك عشرين سنة أو قريباً من عشرين سنة أو ماشاء الله ، ثم بُعِثَ ﷺ »[٤] .

* * * * *

(١) سير أعلام النبلاء ٥٥٦/٢ .

(٢) ذكر هذا الشيخ حماد بن الأمين الموريتاني ، المتوفى في القرن الثالث عشر ، في تحفة الألباب شرح الأنساب ٥٩/١ و لم أهتد لأثر أبي جهم هذا في كتب التخريج ، و لم أقف على مصدر نقله .

(٣) السِّهلة بالكسر : تراب كالرمل يجيء به الماء ، القاموس (سهل) ، وفي النهاية لابن الأثير ٤٢٨/٢ « رمل خشن ليس بالدقيق الناعم » .

(٤) مسند الإمام أحمد ٣٣٢/١ ، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تخريجه لأحاديث المسند ٣١/٥ (٣٠٧٢) وغيره .

الفصل الخامس

صـفة المقــام وذَرْعــه

ذكر الأزرقي[١] رحمه الله صفة المقام وذَرْعَه بعدد الأصابع ، وبعضهـم ذَكَر قياسه بالذراع ، وهي وَحَدَاتُ قيـاسٍ كـانت في زمـانهم ، وليسـت مشـهورة اليـوم ، ولهـذا آثـرتُ أن أذكـر ماسـجَّله الشيـخ محمـد طـاهر الكردي المكي من مقاسات للمقام بالوحدة القياسية المعروفـة اليـوم وهـي المتر ، وذلك حين فُتِحَ له المقام ، وذلك في سنة ١٣٦٧هـ ، فَكَتَبَ رحمـه الله مايلي[٢] :

« لقد وَجَدْنا حجر مقام إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسـلام مُثْبَتاً فـوق قاعدةٍ صغيرة مـن الرُّخَـام المَرْمَـر ، بقَـدْر قيـاس نَفْس المقـام الشـريف طـولاً وعَرْضاً ، وأما ارتفاعها فثلاثة عشر سنتيمتراً . وأما مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فهو حَجَـرٌ لونـه مـابين الصُّـفْرة والحُـمْـرة ، وهـو إلى البيـاض أقرب ، ويُمكن أن يَحْمِلَه أضعفُ الرجال ، وهو حجر وليس بصُوَّان .

وأما حجم حجر المقام الكريم ، فهو يُشْبِه المكعَّب ، ارتفاعه عشرون سنتيمتراً ، وطول كل ضلع مـن أضلاعـه الثلاثـة مـن جهـة سـطحه سـتة وثلاثون سنتيمتراً ، وطول ضلعه الرابع : ثمانية وثلاثون سنتيمتراً ، فيكون مقدار محيطه من جهة السطح ١٤٦ سنتيمتراً .

---

(١) أخبار مكة ٣٨/٢ .

(٢) مقام إبراهيم ص١١٢-١١٤ .

❋ وفي هذا الحجر الشريف غاصت قَدَمَا خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام مقداراً كبيراً إلى نصف ارتفاع الحجر ، فعُمْق إحدى القَدَمَيْن ١٠سم ، وعمق الثانية ٩سم .

ولم نشاهدْ أَثَراً لأصابع القَدَمين مطلقاً ، فقد انْمَحى من طول الزمن ، ومَسْحِ الناس بأيديهم ، وأما موضع العَقِبَين فلا يتَّضح إلا لمن دَقَّق النَّظَر وتأمَّل .

وطول كل واحدة من القدمين من سطح الحجر والفضة ٢٧سم ، وعرض كل واحدة منهما ١٤سم .

أما قياسهما من باطن القدمين من أسفل الفضة النازلة فيهما ، فطول كل واحدة منهما ٢٢سم ، وعرض كل واحدة منهما ١١سم ، وما بين القَدَمَيْن فاصل مستدق نحو ١سم ، وقد استَدَقَّ هذا الفاصل من أثر مَسْحِ الناس له بأيديهم ، وكذلك اتَّسع طولُ القَدَمَين وعَرْضُهما من أعلاهما بسبب المسح أيضاً .

وحجر المقام كله مُلَبَّس بالفضة الخالصة ، فلاتظهر حقيقة الحجر ، لكن معالم وهيئة القَدَمَين واضحة بيِّنة لم تتغيَّر ولم تتبدَّل ، وتبقى كذلك - والله أعلم - إلى يوم القيامة » اهـ من كلام الشيخ محمد طاهر الكردي .

وحجر المقام اليوم موضوع في مقصورة زجاجية شفَّافة ، تُرى من خلالها هيئة القَدَمَين بوضوح تام .

* * * * *

الباب الثاني
موضع المقام
في عهد النبي ﷺ وفيما قَبْله وبعده

اختلفت الأقوال واضطربت الروايات في موضع المقام في عهد النبي ﷺ ، وفيما قبله وبعده ، على أربعة أقوال ، وهذه هي ، مع بيان أدلتها والروايات فيها ، والراجح منها .

١- القول الأول في موضع المقام :

إن المقام كان في زمن إبراهيم الخليل في الموضع الذي هو فيه اليوم ، وكذلك كان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، حتى جاء السيلُ في زمن عمر رضي الله عنه فاحتمله إلى أسفل مكة ، فردَّه عمر رضي الله عنه إلى مكانه الأول .

❋ ودليل هذا القول ماذكره الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث قال :

« روى الأزرقي في (أخبار مكة) بأسانيد صحيحة ، أن المقام كان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيه الآن ، حتى جاء سيلٌ في خلافة عمر ، فاحتَمَلَه حتى وُجِد بأسفل مكة ، فأُتِيَ به

فرُبط إلى أستار الكعبة ، حتى قَدِمَ عمر ، فاستثبتَ في أَمْرِه ، حتى تحقَّق موضعَه الأول ، فأعاده إليه وبنى حولَه ، فاستقرَّ ثَمَّ إلى الآن »[١] اهـ .

❋ وذكر ابن حجرٍ أيضاً في الفتح[٢] عند كلامه على حديث الإمام البخاري رحمه الله التالي :

« قال ابن عمر : فسألت بلالاً : أَصَلَّى النبيُّ ﷺ في الكعبة ؟ قال : نعم ، ركعتين بين الساريَتَيْن اللَّتَيْن على يساره إذا دخَلْتَ ، ثم خَرَجَ فصلى في وجه الكعبة ركعتين » الحديث .

« قال ابن حجر : قال الكرماني : (في وجه الكعبة) الظاهر من الترجمة أنه مقام إبراهيم ، قلتُ - يعني ابن حجر - قدَّمْنا أنه خلاف المنقول عن أهل العلم بذلك » اهـ .

فقول ابن حجر « قدَّمْنا أنه خلاف المنقول ... » هو النص الذي ذكرتُه أولاً عنه ، وهو في الفتح قبل صفحتين من هذا الكلام .

فما ذَكَرَه ابنُ حجر أولاً عن الأزرقي من أن المقام كان في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر في الموضع الذي هو فيه الآن ، وصحَّح أسانيده ، هو القول المنقول عن أهل العلم بذلك .

❋ هذا ، وأما نص الأزرقي الذي أشار إليه ابن حجر ، وذَكَرَه ملخَّصاً ، فأذكره بتمامه لزيادة بيانه :

---

(١) فتح الباري ٤٩٩/١ .

(٢) ٥٠١/١ .

روى الأزرقي[1] بسنده إلى المطَّلب بن أبي وَدَاعة السَّهْمي[2] رضي الله عنهما قال : « كانت السيول تدخل المسجدَ الحرام من باب بني شيبة الكبير قبل أن يَرْدِمَ عمر بن الخطاب الرَّدْمَ الأعلى ، وكان يُقال لهذا الباب : باب السَّيْل .

قال : فكانت السيول ربما دَفَعَت المقامَ عن موضعه ، وربما نَحَّتْه إلى وجه الكعبة ، حتى جاء سيلٌ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقالُ له : سيل أم نَهْشَل ، وإنما سُمِّي بأم نَهْشَل ، أنه ذهب بأم نهشل[3] ابنة عبيدة بن أبي أُحَيْحَة سعيد بن العاصي ، فماتت فيه ، فاحتملَ المقامَ من موضعه هذا ، فذَهَبَ به حتى وُجد بأسفل مكة ، فأُتِيَ به فرُبِطَ إلى أستار الكعبة في وجهها ، وكُتِبَ في ذلك إلى عمر رضي الله عنه ، فأقبل عمرُ فَزِعاً ، فدخل بعمرة في شهر رمضان[4] ، وقد غَبِيَ موضعه – أي خَفِيَ وجُهِلَ و لم يُعرَف – وعفَّاه السيل .

فدعا عمرُ بالناس فقال : أَنْشُدُ الله عبداً عنده عِلْمٌ في هذا المقام أين موضعه[5] ؟ .

---

(١) أخبار مكة ٢/٣٣ .

(٢) الصحابي ابن الصحابي ، من مُسْلِمة الفتح ، واسمه : الحارث بن ضبيرة ، وأمه أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، بنت عم النبي ﷺ ، ترجَمَ له ابن حجر في الإصابة ٦/١٠٤ .

(٣) صحابية ترجم لها ابن حجر في الإصابة ٨/٢٨٦ .

(٤) سنة ١٧هـ ، وقيل ١٨ ، كما ذكر الفاسي في شفاء الغرام ١/٢٠٩ .

(٥) (أين موضعه) زيادة من (القِرى) للمحب الطبري ص٣٤٧ .

فقال المطَّلب بن أبي وَدَاعة السَّهْمي : أنا ياأمير المؤمنين عندي ذلك ، فقد كنتُ أخشى عليه هذا ، فأخذتُ قَدْره من موضعه إلى الرُّكْن ، ومن موضعه إلى باب الحِجْر ، ومن موضعه إلى زمزم بِمقَاط - أي حبل - وهو عندي في البيت .

فقال عمر : فاجلِسْ عندي ، وأَرْسَل إليها ، فأُتِيَ بها ، فمدَّها فوجدها مستوية إلى موضعه هذا ، فسأل الناسَ وشاورهم فقالوا : نعم هذا موضعه ، فلما استثبتَ ذلك عمر رضي الله عنه ، وحَقَّ عنده ، أَمَرَ به فأَحْكَمَ بناء رُبْضه[١] - أي أساس البناء - تحت المقام وحَوْلَه ، فهو في مكانه هذا إلى اليوم » اهـ من الأزرقي .

❋ ومما يُستدل به لهذا القول أيضاً ، ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، نزلا فوُضِعا على الصفا ، فأضاء نورهما لأهل الأرض... ولَيُبْعَثَنَّ الركن والمقام وهما في العِظَم مثل أبي قبيس يشهدان لمن وافاهما بالوفاء ، فرفع الله تعالى النور عنهما ، وغيَّر حسنهما ، **فوضَعَهما حيث هما** »[٢] .

❋ وروى الأزرقي[٣] أيضاً عن ابن أبي مُلَيْكَة - التابعي - قال :

« موضع المقام هذا الذي هو به اليوم ، هو موضعه في الجاهلية ، وفي عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، إلا أن السيل ذهب به

---

(١) هكذا النص في (القِرى) ص٣٤٥ ، وهو أصوب - والله أعلم - مما جاء في مطبوعة الأزرقي « فأعلم ببناء ربضة » .

(٢) تقدم ص٤٠ .

(٣) ٢/٣٥ .

في خلافة عمر ، فجُعِل في وجه الكعبة ، حتى قدِم عمر ، فردَّه بمَحْضر من الناس » اهـ .

ومثله عند الفاكهي[1] عن عمرو بن دينار المكي التابعي الثقة الثبت .

❊ وروى الأزرقي[2] عن سفيان بن عيينة عن حبيب بن أبي الأشرس قال :

« كان سيل أم نَهْشَل قبل أن يَعْمَل عمرُ الرَّدمَ بأعلى مكة ، فاحتمل المقامَ من مكانه ، فلم يُدْرَ أين موضعه ، فلما قَدِمَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه سأل : مَنْ يعلم موضعه ؟ فقال المطَّلب بن أبي وَدَاعة : أنا ياأمير المؤمنين ، قد كنتُ قدَّرته وذَرَعْتُه بمِقَاط ، وتخوَّفْتُ عليه هذا : من الحِجْر إليه ، ومن الركن إليه ، ومن وجه الكعبة إليه .

فقال - عمر - : ائت به ، فجاء به ، فوضعه في موضعه هذا ، وعَمِلَ عمرُ الرَّدْمَ عند ذلك .

قال سفيان بن عُيَيْنَة : فذلك الذي حدَّثَنا هشام بن عروة عن أبيه أن المقام كان عند سَقْع البيت - أي في ناحية البيت - ، فأما موضعه الذي هو موضعه ، فموضعه الآن ، وأما مايقول الناس : إنه كان هنالك موضعه ، فلا » اهـ من الأزرقي .

❊ وذكر المحب الطبري في (القِرى)[3] دليلاً آخر لترجيح هذا القول الأول فقال :

---

(١) ٤٥٥/١ .

(٢) ٣٥/٢ .

(٣) ص ٣٤٦ .

« وسياق لفظ حديث الصحيح الطويل ، وما روي نحوه يشهد بترجيح قول ابن أبي مُلَيْكَة ، وذلك قوله : « ثم تقدَّم - ﷺ - إلى مقام إبراهيم وقرأ : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ﴾ ، فجعل المقامَ بينه وبين البيت » .

والمتبادر إلى الفهم عند سماع هذا اللفظ ، أنه لم يكن حينئذ ملصَقاً بالبيت ، لأنه لايقال في العُرْف : (تقدَّم إلى كذا ، فجعله بينه وبين كذا) إلا فيما يمكن أن يُقَدِّمه أمامه ، وأن يخلِّفه خلفه ، وإذا كان ملصقاً تعيَّن التقديم لاغير اهـ .

❋ فهذه أخبار صحيحة ثابتة تشهد لهذا القول ، عن الصحابي الجليل المطلب بن أبي وَدَاعة المكي ، وعن كلٍ من أئمة التابعين وتابعيهم : ابنِ أبي مُلَيْكة وعروة بن الزبير ، وسفيان بن عيينة إمام المكيين ، وعَمْرو ابن دينار المكي .

وهذا الرأي هو ماعتمده الأزرقي في كتابه ، وكذلك النووي في تهذيب الأسماء واللغات[1] ، وهو الذي صحَّحَه الحافظ ابن حجر ، ونَقَلَه عن أهل العلم بذلك ، معتَمِداً عليه ، بتعقّبه على الكرماني كما تقدَّم[2] .

❋ وهذه الآثار كلها تفيد أن المقام كان في موضعه الحالي ، وذلك في عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وفي زمن الجاهلية ، وفي عهد النبي ﷺ إلى زمن عمر رضي الله عنه فما بعده إلى يومنا هذا .

---

(١) ٣/٥٥ القسم الثاني .

(٢) وسيأتي ص١١٦ عن ابن حجر أنه اعتمد في موضع آخر من الفتح قولاً غيره ، متابِعاً فيه ابنَ كثير رحمه الله .

❋وإن مشاورة عمر رضي الله عنه للصحابة الحاضرين بمكة المكرمة وغيرهم من التابعين ومَن حَضَرَ ، تدل على أن موضع المقام كان معروفاً لديهم ، حتى أقرّوا عمرَ على مايَعْرِفه هو رضي الله عنه حين عرَّفه به رسول الله ﷺ كما سيأتي قريباً [1] ، وما ذَكَرَه له المطلب ابن أبي وداعة ، فكان هذا إجماعاً منهم وممن جاء بعدهم ، فيكون هذا الإجماع هو العمدة في موضع المقام ، وماخالفه من أقوال لاتَقْوَى على معارضته .

وسأبيّن إن شاء الله عند ذكر بقية الأقوال مايُتَعَقَّب به عليها ، وأسأل الله تعالى أن يُلْهِمَنا السداد .

❋ تنبيه :

إن في حادثة جرّ السيل للمقام زمن خلافة عمر رضي الله عنه ، يذكّرنا هذا بالحديث الذي سيأتي معنا[1] ، من أخذ النبي ﷺ بيد عمر رضي الله عنه ، دون غيره من الصحابة ، حتى مرَّ به على المقام يعرِّفه به ، ففي فعله ﷺ هذا ، تنبيه وإشارة - والله أعلم - لما سيكون لعمر رضي الله عنه فيما بعد في شأن المقام ، من مجيء السيل وتحوُّل المقام عن مكانه ، وقدوم عمر رضي الله عنه من المدينة المنورة ، وهو أعرف الناس بالمقام ومكانه لتعريف النبي ﷺ له به ، وكان ماكان من مشاورته للصحابة الكرام في مكة المكرمة وتحققه من مكانه ، وإرجاعه حيث كان .

---

(١) ص١٢٦ .

❋ وإن نصَّ الأزرقي السابق يدل أيضاً على معرفة عمر رضي الله عنه بمكان المقام ، حيث جاء فيه :

« فقال له عمر : فاجلس عندي ، وأَرْسَلَ إليها ، فأُتِيَ بها ، فمدَّها فوَجَدَها مستوية إلى موضعه هذا » .

وأيضاً فإن عمر رضي الله عنه هو ليس بغريب عن مكة المكرمة ، بل هو ابنها وأعرف الناس بما في الحرم .

❋ « فإن قيل : لِمَ سأل عمرُ الصحابةَ رضي الله عنهم عن موضع المقام ، ومحله الأصلي ، مع كونه رضي الله عنه يعرف محله حق المعرفة ؟ .

فالجواب :

١- أراد عمر رضي الله عنه تكريم الصحابة باستشارتهم ، ومحافظته على اعتبارهم ومقامهم ، وحتى لايقال : إنه يقطع الأمور بدون أخذ رأيهم وموافقتهم ، والاستشارةُ سُنَّةٌ مؤكَّدة في جميع الأمور ، وهي في الأمور المهمة الدينية أشد طلباً وآكد .

٢- إن عمر رضي الله عنه سأل صحابة رسول الله ﷺ ، وهو أعرف منهم بذلك ، حتى يتثبت من الأمر بشهادة غيره ، ويظهر ذلك كالشمس في رابعة النهار لمن حضر من الصحابة الكرام في المسجد الحرام .

وحتى لايتَّهمه أحد من المنافقين والأعداء أنه وَضَعَ المقامَ هنا بدون أخذ رأي الصحابة .

وقد وافق الصحابةُ الحاضرون رضوان الله عليهم على أن موضع المقام ومحله هو ماذكَرَه المطَّلبُ بن أبي وَدَاعة السهمي رضي الله عنه »[١].

٢- القول الثاني في موضع المقام :

إن المقام في عهد النبي ﷺ وفيما قبله وبعده إلى زمن عمر رضي الله عنه كان لاصقاً بالبيت ، ثم حوَّله عمر إلى مكانه الحالي.

❋ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره[٢] : « قد كان هذا المقام مُلْصَقاً بجدار الكعبة قديماً ، ومكانه معروف اليوم إلى جانب الباب مما يلي الحِجْر ، يَمْنَةَ الداخل من الباب ، في البقعة المُسْتَقِلّة هناك ، وكان الخليل عليه السلام لما فَرَغَ من بناء البيت وَضَعَه إلى جدار الكعبة ، أو أنه انتهى عنده البناء فتَرَكَه هناك ، ولهذا والله أعلم أُمِرَ بالصلاة هناك عند الفراغ من الطواف ، وناسَبَ أن يكون عند مقام إبراهيم حيث انتهى بناء الكعبة فيه .

وإنما أخَّره عن جدار الكعبة أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أحدُ الأئمة المهديين والخلفاء الراشدين ، الذين أُمِرنا باتِّباعهم، وهو أحد الرَّجُلَين اللَّذين قال فيهما رسولُ الله ﷺ : « اقتَدُوا باللَّذَيْن من بعدي : أبي بكر وعمر »[٣].

---

(١) من كلام الشيخ محمد طاهر الكردي في التاريخ القويم ٤/٤١ .

(٢) ١/١٧٠ عند تفسير قوله تعالى ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ البقرة/١٢٥ .

(٣) سنن الترمذي ، المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ٥/٦٠٩ وقال : حديث حسن ، سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ١/٣٧ ، مسند أحمد ٥/٣٨٢ ، والحديث له شواهد .

وهو الذي نَزَلَ القرآن بوفاقه في الصلاة عنده ، ولهذا لم يُنْكِر أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين » اهـ من كلام ابن كثير .

❋ أدلة هذا القول كما ذكرها ابن كثير رحمه الله :

« ١- ماروواه عبد الرزاق[1] عن ابن جريج حدثني عطاء وغيره من أصحابنا قال : أول مَن نَقَلَه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه .

٢- وروى عبد الرزاق[1] أيضاً عن مجاهد قال : أول من أخّر المقامَ إلى موضعه الآن عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه .

٣- وأخرج البيهقي[2] عن عائشة رضي الله عنها : أن المقامَ كان زمان رسول الله ﷺ وزمان أبي بكر رضي الله عنه ملتصقاً بالبيت ، ثم أخّره عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه .

وهذا إسناد صحيح[3] .

٤- وروى ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة إمام المكيين في زمانه قال : كان المقام من سَقْعِ البيت على عهد رسول الله ﷺ فحوّله عمرُ إلى مكانه بعد النبي ﷺ ، وبعد قوله تعالى ﴿ واتّخِذُوا من مقامِ إبراهيمَ مُصَلًّى ﴾ .

قال : ذَهَبَ به السيلُ بعد تحويل عمر إياه من موضعه هذا ، فردَّه عمر إليه .

---

(١) المصنف ٤٨/٥ وصححه ابن حجر في الفتح ١٦٩/٨ .

(٢) السنن الكبرى ٧٥/٥ .

(٣) وصححه أيضاً ابن حجر في الفتح ١٦٩/٨ .

وقال سفيان : لاأدري كم بينه وبين البيت قبل تحويله ؟ .

قال سفيان : لاأدري أكان لاصقاً بها أم لا ؟ .

فهذه الآثار متعاضدة على ماذكرناه والله أعلم» اهـ من كلام ابن كثير .

وقال ابن كثير[١] في بيان وجه تأخير عمر رضي الله عنه للمقام :

« وقد كان المقام ملتصقاً بجدار البيت حتى أخّره عمر بن الخطاب رضي الله عنه في إمارته إلى ناحية الشرق ، بحيث يتمكن الطُّوَّاف منه ، ولايشوِّشون على المصلِّين عنده بعد الطواف ، لأن الله قد أَمَرَنا بالصلاة عنده » اهـ .

❋ وقد تابع الحافظُ ابنُ حجرٍ في هذا الموضع من الفتح[٢] ابنَ كثير متابعة تامة ، فَذَكَرَ كلامَه وأدلته ، ولم يصرِّح باسمه ، وصاغ علّة تأخير المقام من عمر رضي الله عنه بمايلي :

« ولم تُنْكِر الصحابة فعلَ عمر ، ولا مَن جاء بعدهم فصار إجماعاً ، وكان عمر رأى أن إبقاءَه يلزمه التضييق على الطائفين أو على المصلين ، فوضَعَه في مكانٍ يرتفع به الحرج ، وتهيَّأ له ذلك ، لأنه الذي كان أشار باتِّخاذه مصلَّى » اهـ من كلام ابن حجر .

❋ ومن الآثار التي تدل على هذا القول الثاني :

٥- مارواه الفاكهي[٣] عن سعيد بن جبير أنه قال : « كان المقام في

---

(١) ٣٨٤/١ عند تفسير قوله تعالى ﴿ فيه أيات بينات مقام إبراهيم ﴾ آل عمران/٩٧ .

(٢) ١٦٩/٨ .

(٣) ٤٥٤/١ .

وجه الكعبة ، وإنما قام عليه إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – حين ارتفع البنيان ، فأراد أن يُشْرِف على البناء .

قال : فلما كَثُر الناس خَشِي عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه أن يطؤوه بأقدامهم ، فأخرجه إلى موضعه هذا الذي هو به اليوم ، حِذاء موضعه الذي كان به قُدَّام الكعبة » .

❊ ومن هذا الأثر – والله أعلم – أخذ ابن كثير ومَن تابعه علة تأخير عمر رضي الله عنه للمقام .

٦– وجاء في فتح الباري[١] للحافظ ابن حجر في روايات بناء البيت :

« وزاد في حديث عثمان : ونَزَلَ عليه الركن والمقام ، فكان إبراهيم يقوم على المقام يبني عليه ، ويرفعه له إسماعيل ، فلما بلغ الموضِعَ الذي فيه الركن ، وَضَعَه يومئذ موضعه ، وأَخَذَ المقامَ فجعله لاصقاً بالبيت » .

٧– وروى الفاكهي[٢] والأزرقي[٣] عن نوفل بن معاوية الدِّيلي[٤] قال :

« رأيت المقام في عهد عبد المطلب ملتصقاً بالبيت مثل المَهَاة » .

سئل أبو الوليد الأزرقي عن المهاة ؟ قال : خرزة بيضاء .

❊ **تعقيب** على ماستُدِلَّ به للقول الثاني :

إن أهم ماستدل به أصحاب هذا القول هو قول السيدة عائشة رضي الله

---

(١) ٤٠٦/٦ .

(٢) ٤٤٢/١ .

(٣) ٣٠/٢ .

(٤) صحابي من مُسلمة الفتح ، عاش إلى أول خلافة يزيد ، وعُمِّر مئة وعشرين سنة ، كما في التقريب لابن حجر ص٥٦٧ ، رقم ٧٢١٧ .

عنها مع عدة أقوال لبعض التابعين .

أما بالنسبة لقول عائشة رضي الله عنها فيقال : إنه لايَقْوى على معارضة قول المطلب بن أبي وَدَاعة ، ذلك الصحابي الذي كان له اهتمام بالغ بشأن المقام ، حتى ذَرَعَه وقاسه قبل أن يحوِّله السيل ، واعتَمَدَ قولَه عمرُ رضي الله عنه ، وعليه إجماع الصحابة ومَن بعدهم .

وأيضاً ففي خبر المطلب تفصيل وتوضيح لم يُذكر في غيره من الأخبار ، مما يؤكِّد رُجْحانه على إجمال غيره .

وأما أقوال التابعين التي استدلوا بها ، فيعارضها أقوالُ غيرهم من التابعين ، وكلٌ من الفريقين تابَعَ في ذلك - والله أعلم - أحد هذين الرأيين السابقين مما بلغه ، ويبقى المرجِّح الأول السابق هو السائد .

❃ وكذلك خبر سفيان بن عيينة الذي استدلوا به ، يعارضه تماماً ماروواه عنه أصحاب القول الأول ، فيتساقطان حيث لامرجِّح ، بل رواية أصحاب القول الأول عنه ، فيها تصريح بتأكيد الأمر ، ونفي ماسواه .

❃ وعما قاله أصحاب القول الثاني من أن المقام كان لَزِيق البيت زمن إبراهيم عليه السلام ، يقال : نعم ، كان كذلك وقت البناء ثم أخَّره في موضعه الحالي ، كما هو في أدلة القول الأول ، وبذا تجتمع الأدلة ، وهو أولى من إسقاط بعضها .

❃ ويقال أيضاً :

إن القول الثاني يفيد أن موضع المقام الحالي هو اجتهاد من سيدنا عمر رضي الله عنه بسبب زحمة الطائفين ، وعلى القول الأول يكون موضع

المقـام توقيفـي مـن زمـن إبراهيـم الخليـل إلى زمـن عمـر رضـي الله عنــه ، والتوقيف هو الأقرب والأَولى في مثـل هـذه الشعيرة والآيـة الـتي أمـر الله تعالى باتخاذها مصلى .

❋ كما أن تعليـل تأخـير عمـر رضـي الله عنـه للمقـام بسـبب زحمـة الطائفين بعيد ، فقد حجَّ مع النبي ﷺ أكثر من مئة ألف صحابي رضوان الله عليهم أجمعين ، وهو عدد ضخم ، يجعل المقـام قائمـاً بـين الطـائفين ، حتى ولو طاف منهم العُشْر أو أقل بكثير ، ومع هذا لم يؤخِّـر النبي ﷺ المقام ، ويبقى القول بأن مكان المقام توقيفي هو أولى والله أعلم .

٣- القول الثالث في موضع المقام :

إن المقام كـان ملصقـاً بـالبيت فيمـا مضـى ، ولكـن الـذي حوَّلـه إلى موضعه هذا هو رسول الله ﷺ ، وهو قول مجاهد[١] .

وقد ضعَّفَ هذا الأثر عن مجاهد ابنُ كثير وابنُ حجر ، وصحَّحا عنـه غير هذا ، وأن الذي حوله هو عمر رضي الله عنه[٢] .

❋ وأثـرٌ آخـر يدعـم هـذا القـول ، وهـو مـاذكره الفاسـي في شـفاء الغرام[٣] عن موسى بن عقبة[٤] رحمه الله حيث قال في مغازيه :

---

(١) عزاه ابن كثير في التفسير ١٧٠/١ وابن حجر في الفتح ١٦٩/٨ لابن مردويه .

(٢) مصنف عبد الرزاق ٤٨/٥ . (٣) ٢٠٦/١ .

(٤) الإمام الثقة الكبير ، كان بصيراً بالمغـازي النبويـة ، ألَّفهـا في مجلـد ، وهـو أول مَـن صنَّف فيها ، قال الذهبي : وغالبها صحيح ، ومرسَل جيد ، توفي سنة١٤١هـ ، كما في سير أعلام النبلاء ١١٤/٦ .

« وكان زعموا أن المقام لاصق في الكعبة ، فأخَّره رسول الله ﷺ في مكانه هذا » .

❋ وقد رجَّح هذا القول الإمامُ ابنُ حجرٍ الهيتمي المكي ، لكن دون ذكر مرجِّح ، حيث قال :

« ثم بقي المقام مع طول الزمن وكثرة الأعداء بجنب باب الكعبة ، حتى وَضَعَه ﷺ بمحلِّه الآن ، على الأصح من اضطراب في ذلك » اهـ[1] .

❋ **تعقيب** على هذا القول :

إن هذا الأثر عن مجاهد ضعيف كما تقدم ، وأيضاً فإن الخبر الصحيح عن المطلب بن أبي وداعة ، والآثارَ الأخرى تعارض أثر مجاهد وتردّه ، وكذلك يقال فيما نقله الإمام موسى بن عقبة والله أعلم .

٤- القول الرابع في موضع المقام :

وهو ماذكره الإمام مالك رحمه الله في المدونة[2] حيث قال :

« بلغني أن عمر بن الخطاب لما وَلِيَ وحجَّ ودخل مكة أخَّر المقام إلى موضعه الذي هو فيه اليوم ، وقد كان ملصقاً بالبيت في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وقَبْلَ ذلك ، وكانوا قدَّموه في الجاهلية مخافة أن يذهب به السيل ، فلما وَلِيَ عمر أخرج أخيوطة كانت في خِزانة الكعبة قد كانوا قاسوا بها مابين موضعه وبين البيت ، إذ قدَّموه مخافة السيل ، فقاسه عمر ، فأخرجه إلى موضعه اليوم ، فهذا موضعه الذي كان فيه في الجاهلية وعلى عهد إبراهيم » اهـ من المدونة .

---

(١) تحفة المحتاج ٩٢/٤ .

(٢) ٤٥٢/١ .

(قال مالك : والذي حَمَلَ عمر على ذلك والله أعلم ، ماكـان النبي ﷺ يذكره من كراهية تغيير مراسم إبراهيم عليه السلام ، ومنه قوله ﷺ لعائشة : « لولا حِدْثَان قومك بكفر ، لنقَضْتُ البيت ... » الحديث[1] ، فرأى عمر أن ذلك ليس فيه تغيير لمكان مارآه من مراسم إبراهيم عليه السلام)[2] .

❋ **تعقيب** على القول الرابع :

١- يقال أولاً : إن هذا البلاغ عن الإمام مالك رحمه الله هو في حكم الضعيف ، لاسيما أنه مخالف للصحيح من الروايات ، ولايَقْوى على معارضتها .

٢- على فرض قبوله يقال : إن القول الأول يفيد أن ردَّ عمر رضي الله عنه للمقام إلى مكانه الحالي الذي كان في زمن إبراهيم الخليل ، إنما كان معتمداً فيه على قياس المطلب بن أبي وَدَاعة ، وموافقة الصحابة الحاضرين له وإجماعهم ، وقَبْلَ هذا المعرفةُ الشخصية بذلك من عمر رضي الله عنه ، أما على هذا القول - الرابع - فإن عمر رضي الله عنه ردَّ المقامَ لمكانه بناء على قياس الجاهلية ، ولاشك أن الخبر الذي يفيد اعتماد عمر رضي الله عنه في ردِّ المقام على معرفته هو ومعرفة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وبخاصة المطَّلب بن أبي وداعة المهتم بشأن المقام ، يكون أولى وأقوى من غيره من الأخبار ، مما يجعل القول الأول هو الراجح .

---

(١) صحيح البخاري ٤٣٩/٣ ، صحيح مسلم ٩٦٩/٢ .

(٢) نقله المحب الطبري في القِرى ص٣٤٦ .

٣- ثم إن التعليل الذي ذكره الإمام مالك رحمه الله ، لردّ عمر رضي الله عنه للمقام هو حسب الظاهر اجتهادٌ وتخمين من الإمام مالك رحمه الله ، أما على القول الأول ففي خبر ردّ عمر للمقام إيضاح وبيان لسبب الرد ، وهو السيل ، وهو أمر مشهور شائع معروف ، فهذا أيضاً مما يرجح القول الأول على الرابع .

وهكذا بعد عرض الأقوال الأربعة وأدلتها ، والنظر فيها ، يبقى القول الأول هو الراجح ، والله أعلم بالصواب .

* ماذكره المحب الطبري للجمع بين الأقوال السابقة :

أذكر هنا محاولة المحب الطبري للتوفيق بين الأقوال المختلفة في هذه المسألة ، وذلك استيفاء للبحث ، وأُبيّن مافيها من نظر ، فقد قال رحمه الله :

« وأما ماذكره الأزرقي عن المطلب بن أبي وداعة فيحتمل أمرين : أحدهما :

أن يكون قول عمر : أَنْشُدُ الله عبداً عَلِمَ في هذا المقام أين موضعه ؟ .

أي الذي كان فيه في عهد النبوة ، وهو المتبادر إلى الفهم ، وقد كان بحَّاثاً عن السُّنَن ، وقَّافاً عندها ، وكذلك فَهِمَه ابنُ أبي مليكة ، فلذلك أثبت أن موضعه اليوم هو الموضع الذي كان فيه في عهد النبوة ، وأن إلصاقه بالكعبة إنما كان لعارض السيل .

الاحتمال الثاني :

أن يكون عمر رضي الله عنه سأل عن موضعه في زمن إبراهيم عليه السلام ، ليردَّه إليه ، لِعِلْمه أن النبي ﷺ كان يُؤْثر بقاءَ مراسم إبراهيم ،

ويكره تغييرها ، ويكون سبيلُه ﷺ في تقرير المقام ملصقاً بالبيت إلى أن توفي ﷺ سبيلَ تقرير ماكان من الكعبة في الحِجر ، تأليفاً لقريش في عدم تغيير مراسمهم ، فلذلك سأل عمرُ عن مكان المقام في زمن إبراهيم عليه السلام ليردّه إليه ، اعتماداً على ماعَلِمَه من النبي ﷺ ، فيكون موافقاً لسُنَّته ﷺ .

ولما كان عند المطلِّب عِلْمٌ بذلك أخبره به ، فرجع إليه ، وعَمِل بما عَلِمَه من رسول الله ﷺ ، كما فعل ابن الزبير بإدخال ماكان من البيت في الحِجْر فيه لمَّا بَنَاه ، اعتماداً على مابَلَغَه عنه ، وذلك مشهور .

وعلى هذا فلا مناقضة بين مانَقَلَه المطَّلب وما نَقَلَه مالك ، فيكون الجمع بينهما أَولى من دَحْض أحدهما ، ويكون ابنُ أبي مليكة قال ماقاله فهماً من سياق مارواه المطلب رضي الله عنه ، والإمام مالك أَثْبَتَ ماأثبَتَه جازماً به ، ولايكون ذلك إلا عن توقيف ، فكان الجمعُ أَولى والله أعلم » اهـ من كلام المحب الطبري[1] .

❋ **تعقيب** على ماذكره المحب الطبري :

إن ماذكره المحب الطبري رحمه الله من محاولة للجمع بين الأقوال المختلفة في موضع المقام ، فيه نظر ، حيث حاول أن يجمع بين ماصُحِّح عن المطلب بن أبي وَدَاعة من قياسه هو رضي الله عنه لأبعاد المقام ، وبين بلاغ مالك رحمه الله ومافيه من قياس الجاهلية لأبعاد المقام ، فدَمَجَ

---

(١) القِرى لقاصد أم القرى ص٣٤٧ .

رحمه الله بين هذين الخبرين ، مع اختلافهما في الصحة أولاً .

وثانياً : إن كل خبر منهما مستقلٌ ومختلفٌ عن الآخر ، ففي أثر المطلب بن أبي وداعة : الذي تحرّى أبعاد المقام وقاسها ، هو صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي بلاغ مالك رحمه الله : الذي قام بقياس الأبعاد هم أهل الجاهلية ، وهكذا فكيف يُجْمَع بينهما مع اختلافهما في أكثر من أمر ؟ .

❋ وأيضاً ماذكره المحب الطبري في الاحتمال الثاني عن موضع المقام ، وهو :

« أن يكون عمر رضي الله عنه سأل عن موضعه في زمن إبراهيم... ولما كان عند المطلب عِلم بذلك أخبره به فرجع إليه... » .

يقال : كيف يكون عند المطلب علم بموضع المقام في زمن إبراهيم الخليل ؟ .

إنما عنده علم بماقاسه هو بنفسه رضي الله عنه قبل حدوث السيل ، وإلا فهذا يؤكد القول الأول : أن المقام كان في عهده ﷺ وفيما بعده في مكانه الحالي ، ولم يكن ملصقاً بالبيت ، وهذا لم يقل به الإمام مالك رحمه الله .

وبهذا كله يتّضح رجحان القول الأول في موضع المقام .

* * * * *

الباب الثالث

اهتمام النبي ﷺ بالمقام والمشاعر العِظام

اهتمَّ سيدنا رسول الله ﷺ اهتماماً بالغاً واضحاً بالتعريف بآيات الله العظام ، ومشاعر بيت الله الحرام ، ومن أعظم هذه الآيات البينات التي عرَّف بها ﷺ ، وبيَّن فضلها وشرفها : آية مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وذلك بقوله وفعله ﷺ ، ومن أوضح مايدل على هذا الاهتمام منه ﷺ مايلي :

١- عن حابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ قال :

« حتى إذا أتينا البيت معه - ﷺ - استلم الركن فرَمَلَ ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم نَفَذَ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ فجعل المقامَ بينه وبين البيت » الحديث[١] .

قال الإمام ابن حجر الهيتمي المكي :

« ولما صلى ﷺ خلف المقام ركعتي الطواف قرأ : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ كما قرأ مايتعلق بالصفا والمشعر الحرام عند

---

(١) صحيح مسلم ٨٨٧/٢ .

وصوله إليهما ، وهكذا كان ﷺ يتلو آيات المناسك عند محالّها ، إعلاماً للأمة بشرفها ، وإحياء لذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام ، كما أَحيَى ذكره بـ « كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم » في كل صلاة ، لأنه الأبُ الرحيم ، الداعي ببعثة نبيِّنا محمد ﷺ في هذه الأمة لهدايتهم وتكميلهم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، وعلى إبراهيم وإسماعيل وجميع آبائه وإخوانه الأنبياء والمرسلين »[١] .

٢- روى البخاري ومسلم[٢] في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ قول سيدنا عمر رضي الله عنه : « وافقت ربي في ثلاث : فقلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ... » الحديث .

« وقد جاء في رواية أبي نعيم في الدلائل من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال :

أَخَذَ النبيُّ ﷺ بيد عمر ، فمرَّ به على المقام فقال له : هذا مقام إبراهيم ، فقال عمر : يانبيَّ الله ألا نتخذه مصلى ؟ فنزلت : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ »[٣] .

---

(١) تحفة المحتاج بشرح المنهاج ٩٢/٤ .

(٢) صحيح البخاري ، الصلاة ، باب ماجاء في القبلة ٥٠٤/١ ، صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، باب فضائل عمر رضي الله عنه ١٨٦٥/٤ .

(٣) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٦٩/٨ في زيادات الباب فهو صحيح أو حسن على قاعدته .

ففي هذه الرواية زيادة مهمة وفائدة غالية ، وهي الاهتمام البالغ بفعله ﷺ في شأن المقام والتعريف به ، حتى أَخَـذَ بيـد أحـد وزيرَيْـه الكريمين رضي الله عنهما ، وهو سيدنا عمـر الفـاروق ، حتـى مرَّ بـه علـى المقـام يعرِّفه على هذه الآية البينة العظيمـة في حـرم الله تعـالى ، وينـوِّه لـه بشـأن المقام وشرفه وفضله .

٣- اهتمامه القولي ﷺ بشأن المقام ، وسيأتي قريباً إن شاء الله تعـالى ذكر أحاديثه ﷺ في فضل المقام وشرفه .

فكل هذا الاهتمام القولي والفعلي مـن النبي ﷺ بـالتعريف بالمقـام ، والمشاهد العظام ، يستدعينا الاهتمام بها اقتـداءً برسـول الله ﷺ ، فيُبيَّـن للمسلمين عامة ، وللحجاج والعمَّار خاصـة فضـل هـذه الآيـات البينـات وشـرفها ، ويُعـرَّف بهـا وبتاريخهـا ، مـن المقـام والحجـر الأسـود وزمـزم والصفا والمروة والمشاعر كلها .

❋ ويُقترح هنا بمناسبة ذكـر اهتمامـه ﷺ بهـذه المشـاعر أن توضـع لوحات إرشادية ، يُكتب عليها باختصار مايعرِّف بهـا وبفضلهـا ، يَطَّلع عليهـا الحجـاج والعمّـار وغـيرهم ، كمـا هـو الحـال في الروضـة النبويـة الشريفة ، حيـث كُتِـب في صدرهـا الحديـثُ الـوارد في فضلهـا ، وكمـا كُتِبَ في مسجد قُباء الآية الواردة فيـه ، والحديـثُ المبيِّـن لفضلـه وفضـل الصلاة فيه ، وغير هذين الموضعين المباركين .

وهكذا فيُكتب مايعرِّف بالمقام والحجر الأسود والصفا والمروة وزمزم وغيرها من الآيات البينات ، والمشاعر العظـام ، لاسيما مـع انتشـار هـذا

الجهل الشديد بالدين عامة ، وبالمشاعر خاصة ، وفي هذا نشر للعلم والخير بين العباد ، ووفدِ الله من الحاضر والباد .

ولهذا التعريف الأثرُ الحسن الكبير في نفوس وروح الحجاج والعمَّار وغيرهم ؛ من إحياءٍ لمشاعر الإيمان في قلوبهم ، وإيقاظٍ لعقولهم للتفكّر في هذه الآيات الربانية التي أودعها الله تعالى في هذه البقاع الطيبة المباركة ، ويكون ذلك سبباً باعثاً لهم على تعظيمها في نفوسهم وقلوبهم كما حثّ على ذلك ربُّنا جل وعلا حيث قال : ﴿ ومَن يعظِّم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ ، وبذا تلين القلوب وتخشع ، وتبكي العيون وتدمع ، كما كان حال سيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ، حيث قال ﷺ للفاروق عمر رضي الله عنه ، وهما عند الحجر الأسود : « ياعمر هاهنا تُسكب العبرات »[1] الحديث .

* * * * *

(١) تقدم الحديث ص ٤٧ .

الباب الرابع

فضـائل مقـام إبراهيـم

عليه الصلاة والسلام

لقد جعل الله تعالى لهذا الحجـر الكريـم (مقـام إبراهيـم) فضـائل عديدة ، وآيات كثيرة تدل على عظيم شرفه وكبير شأنه ، وقـد ثبـت فضله واشتهر بنص القرآن الكريم ، وصريح السنة النبوية المطهرة .

١- تخليد ذكره في القرآن الكريم :

ذَكَرَ الله تعالى في كتابه العزيز هـذا المقـام الكريـم في آيتَيْـن عظيمتـين عند ذكره جلَّ وعـلا بيتَـه المشرَّف المعظَّـم ، فهـو قـرآن يُتلى على مـرِّ الدهور ، تخليداً لذكـره الحسـن ، وبيانـاً لشـرفه وفضلـه ، وتكرمـةً لأبـي الأنبياء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام .

ذَكَرَه الله تعالى آيةً بيِّنة من أعظم آيات حرم الله ، كمـا أَمَـرَ المؤمنـين باتخاذه مصلى لهم .

آ - قال الله تعالى : ﴿ وإذ جعلنا البيتَ مثابةً للنـاس وأَمْنـا واتَّخِـذُوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ البقرة:١٢٥ .

ففي هذه الآية الكريمـة « يذكـر الله تعـالى شَـرَفَ البيـت ، وماجعلـه موصوفاً به شرعاً وقَدْراً ، من كونه مثابةً للناس ، أي جعلـه محـلاً تشـتاق إليه الأرواح ، وتَحِنُّ إليه ، ولاتَقْضي منه وَطَراً ، ولـو تـردَّدَت إليـه كـلَّ

عام ، استجابةً من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قولـه : ﴿ فاجْعَلْ أفئدةً من الناس تَهْوِي إليهم ﴾ إبراهيم : ٣٧ .

ويصفه تعالى بأنه جَعَلَه آمناً : مَن دَخَلَه أَمِنَ ولو كان قد فَعَلَ مافعل ، ثم دخله كان آمنا »[١] .

« وقوله تعالى : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيـم مصلى ﴾ أي اتَّخِذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تُصَلُّون عنده ، عبادةً منكم ، وتكرمـةً مني لإبراهيم عليه السلام »[٢] .

وفي هذا الأمر باتخـاذه مصلـى تنويـه بشـرفه وشـأنه ، وتخليـد لذكـره ماتلا كتابَ الله تالٍ ، وما طاف بالبيت طائف ، إلى أن يـرث الله الأرض ومن عليها .

ب – وقال تعـالى : ﴿ إن أَوَّلَ بيـتٍ وُضِـعَ للنـاس للـذي ببكَّـة مباركـاً وهدى للعالمين فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيم ﴾ سورة آل عمران : ٩٦-٩٧ .

وهكذا أبقى الله تعالى ذكر هذا المقـام الكريـم ، يُذكـر مـع بيـت الله وحَجِّه ، ومع الصلاة والدعاء خلفه إلى ماشاء الله تعالى .

٢– مقام إبراهيم من أعظم آيات الله البينات في حرم الله :

قـال الله تعـالى : ﴿ إن أولَ بيـتٍ وُضِـعَ للنـاسِ لَلَّـذي ببكَّـةَ مباركـاً وهدى للعالمين فيه آياتٌ بيِّنـات مقـام إبراهيـم ومَـن دَخَلَـه كـان آمنـا ﴾ سورة آل عمران : ٩٦-٩٧ .

---

(١) تفسير ابن كثير ١٦٨/١ .

(٢) تفسير الطبري ٥٣٨/٢ .

يبيِّنُ الله تعالى لعباده أن في بيته المحرَّم المعظَّم المبارك آياتٌ بينات واضحات الدلالة ، « وإن مقامَ إبراهيم وأَمْنَ الداخل إلى الحرم جُعلا مثالاً مما في حرم الله من الآيات ، وخُصًّا بالذكر لعِظَمِهمَا »[1] .

وهذه الآية العظمى (مقام إبراهيم) هي في نفسها تشتمل على عدة آيات واضحات عجيبة ، ومعجزات باهرة ، أظهرها الله سبحانه في ذلك الحجر الكريم ، فهي آيات في آية ، ومن هذه الآيات في مقام إبراهيم مايلي[2] :

١- أَثَرُ القدمين الشريفتين في الصخرة الصماء آية .

٢- وغَوصُهما فيها إلى الكعبين آية .

٣- وإلانةُ بعض هذا النوع دون بعض آية .

٤- وارتفاع المقام لإبراهيم الخليل في السماء حين ارتفع بالبناء[3] آية ، وكذلك حين علاه للأذان بالحج حتى كان كأطول جبل .

٥- وإبقاؤه على ممرّ الزمان آية .

٦- وحفظه ألوف السنين من الأعداء مع كثرتهم وشدة عدائهم آية .

❋ ومن حفظ الله لهذا المقام ، أنه في سنة ٣١٧هـ حين اعتدى

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٢٢٤ .

(٢) ينظر أحكام القرآن للجصاص ١/٧٥ ، والبحر المحيط لأبي حيان ٣/٧-٨ ، والتفسير الكبير للرازي ٤/٥٣ و ٨/١٥٩ ، وتفسير أبي السعود ١/٣٨٨ ، وروح المعاني للآلوسي ٤/٦ وغيرها .

(٣) في المشهور عند المتأخرين من مؤرخي مكة المكرمة .

القرامطة على الحرم ، وانتشر فسادهم ، وأَخَذَ أبو طاهر القِرمطي الحَجَرَ الأسود ، جاء ليأخذ حجر المقام ، فلم يظفر به ، لأن سَدَنَة الكعبة غيَّبوه في بعض شعاب مكة[1] .

ثم أعيد إلى الحرم بعد أن انطفئت الفتنة ، ولايزال ولله الحمد إلى يومنا هذا محروساً بحفظ الله وعنايته ، وإلى ماشاء الله حتى يُرفع إلى الجنة ويعود إليها ، كما وَرَدَ في الحديث[2] .

٧- ومن آيات مقام إبراهيم أن الله تعالى حَفِظَه من عبادة المشركين له .

يقول الشيخ محمد طاهر الكردي المكي رحمه الله :

« ومما هو جدير بالذِّكر والالتفات إليه أن العرب في جاهليتها مع عبادتهم الأحجار ، وبالأخص حجارة مكة والحرم ، لم يُسمع عنهم أن أحداً عَبَدَ الحجر الأسود أو حجر المقام ، مع عظيم احترامهم لهما ، ومحافظتهم عليهما .

ولقد تأمَّلنا في سرِّ ذلك وسببه ، فظهر لنا أن ذلك من عصمة الله تعالى ، فإنهما لو عُبِدا من دون الله في الجاهلية ، ثم جاء الإسلام بتعظيمهما باستلام الركن الأسود ، والصلاة خلف المقام ، لقال المنافقون وأعداء الإسلام : إن الإسلام أقرَّ احترامَ بعض الأصنام ، وإنه لم يخلص

---

(١) الكامل لابن الأثير ٢٠٣/٦ ، البداية والنهاية ١٧١/١١ ، شفاء الغرام ٢١٠/١ ، إتحاف الورى لابن فهد ٣٧٧/٢ .

(٢) سيأتي ص١٣٥ .

من شائبة الشرك ، ولتمسّك بعبادتهما مَن كان يعبد أحدَهما من قبل .

فلهذا حَفِظَ الله تعالى هذين الحجرين الكريمين من أيام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، إلى يومنا هذا إلى ماشاء الله من عبادة أهل الجاهلية لهما ، كما حَفِظَ بيتَه الحرام من عبادتهم أيضاً ، ولايَخفى أن هذه نقطة دقيقة لايتنبه إليها كل أحد »[1] اهـ .

٨- فيه دلالة قوية على قدرة الله تعالى ، وهذه آية ، ودلالة على توحيد الله تعالى ، لأنه جعل للحجر رطوبة الطين ، حتى دخلت قدمه فيه ، وذلك لايقدر عليه إلا الله .

٩- المقام معجزة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ودليل على نبوته .

١٠- بهاتين الآيتين في الحرم : مقام إبراهيم وأمن الداخل ، تقوم الحجة على كفار قريش ، إذ هما عظيمتان شهيرتان عندهم ، وهم المدركون لهما بحواسّهم ، فكان المقام حجة عليهم في توحيد الله وإفراده بالعبودية .

١١- ومن آيات المقام أيضاً أنه لاتخلو لحظة من اللحظات من قائمٍ وراكع وساجد خلف المقام ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ ، فسبحان الله المعبود الصمد على الدوام جلَّ وعلا .

٣- الأمر الرباني باتخاذ المقام مصلى :

يقول الله تعالى : ﴿ واتَّخِذُوا من مقامِ إبراهيم مُصَلًّى ﴾ سورة البقرة:١٢٥ .

---

(١) مقام إبراهيم ص١٠٧ وقد تقدم هذا النص أيضاً في كتابي عن الحجر الأسود ص٥٣.

إن هذا الأمر الصريح من الله تعالى باتخاذ المقام مصلى ، دليل على فضل وشرف هذا المقام الكريم ، وشأنه الكبير عند الله تعالى .

* وقَبْل أن يأمر الله تعالى نبيَّه محمداً ﷺ وأمته باتخاذه مصلى وقِبْلة ، كان المقام قبلةً ومصلى لإبراهيم وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام .

روى الأزرقي[(١)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سألت عبدالله بن سلام رضي الله عنه عن الأثر الذي في المقام ... ثم قال عبدالله ابن سلام :

« فلما فرغ - إبراهيم من الدعوة إلى الحج على المقام - أَمَرَ بالمقام فوَضَعَه قِبْلة ، فكان يصلي إليه مستقبل الباب ، فهو قِبْلةٌ إلى ماشاء الله ، ثم كان إسماعيل بعدُ يصلي إليه إلى باب الكعبة » .

وهذا كله يدل على فضل المقام ، حتى ارتضاه جلَّ وعلا قِبلة لهؤلاء الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ، ومصلى لهذه الأمة المحمدية المصطفاة .

٤- مقام إبراهيم ياقوتة من يواقيت الجنة نزلت منها :

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، ولولا أن الله طَمَسَ على نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب »[(٢)] .

---

(١) ٢/٣٠ .

(٢) تقدم ص ٣٧ .

- وفي رواية للبيهقي[١] :

« ولولا ما مسَّهما من خطايا بني آدم لأضاءا ما بين المشرق والمغرب ، وما مسَّهما مِن ذي عاهةٍ ولاسقيم إلا شُفِي » .

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال :

« إن الركن والمقام من الجنة »[٢] .

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام ، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ، ولولا مامسَّهما من أهل الشرك ، مامسَّهما ذو عاهة إلا شفاه الله »[٣] .

٥- عودُ المقام إلى الجنة ، وتمثّله يوم القيامة بأعظم من جبل أبي قبيس يشهد لمن وافاه بالوفاء :

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، وإليها يصيران ، ولولا مامسَّ هذا الركن من الأنجاس ، لأبرأ الأكمه والأبرص »[٤] .

- وفي رواية أخرى[٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

---

(١) السنن ٧٥/٥ ، الأزرقي ٢٩/٢ ، قال النووي في المجموع ٣٦/٨ إسناده صحيح .

(٢) الأزرقي ٣٢٢/١ و ٢٩/٢ وتقدم عنه مرفوعاً .

(٣) الأزرقي ٣٢٢/١ و ٢٩/٢ وله حكم الرفع .

(٤) الفاكهي ٤٤٤/١ . وأيضاً له حكم الرفع .

(٥) الفاكهي ٤٤٤/١ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١١٩/١ للأزرقي والجندي في أخبار مكة .

« إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، نَزَلا من السماء لهما نور ، فلما وُضِعا في الأرض طُفِئ نورُهما ، ولولا ماأطفأ الله من نورهما لأضاءا مابين السماء والأرض ، آنَسَ اللهُ تعالى بهما آدمَ عليه السلام ، فكانا يتلألأن تلألؤاً من شدة بياضهما .

وأَخَذَ آدمُ الركنَ فضمَّه إليه استئناساً به ، ولولا ماطَبَعَ الله عزوجل من أيدي الجاهلية ، لأَبرَأَ الأكمه والأبرص .

وليس في الأرض شيء من الجنة إلا الركن والمقام ، فإنهما جوهرتان من جوهر الجنة ، يأتي كل واحد منهما يوم القيامة أعظم من أبي قُبَيس ، لهما عينان وشفتان يشهدان لمن وافاهما بالوفاء » .

- وفي رواية للأزرقي[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« نَزَلَ الركن والمقام مع آدم عليه السلام ليلة نَزَلَ بين الركن والمقام ، فلما أصبح رأى الركنَ والمقامَ فعَرَفَهما ، فضمَّهما إليه وأَنِسَ بهما » .

- وفي رواية[2] عن مجاهد قال : ذَكَرَ وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

« إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، نَزَلا فوُضِعا على الصفا ، فأضاء نورهما لأهل الأرض مابين المشرق والمغرب ، كما يضيء المصباح في الليل المظلم ، يُؤْنِس الرَّوْعة ، ويُسْتَأنسُ إليه ،

---

(١) ٣٢٥/١ .

(٢) الأزرقي ٣٢٦/١ ، الفاكهي ٩٤/١ .

ولَيُبْعَثَنَّ الركن والمقام ، وهما في العِظَم مثل أبي قُبَيس ، يشهدان لمن وافاهما بالوفاء ، فَرَفَعَ الله تعالى النور عنهما ، وغيَّر حُسْنَهما ، فوَضَعَهما حيث هما » اهـ .

❋ **تنبيه :**

ماورد في النصوص السابقة من أن المقام ياقوتة من يواقيت الجنة نزل منها ، فهو على ظاهره وعلى الحقيقة - والله أعلم - لاسيما أن تتمة النص تؤيد هذا ، وهو أنه يعود ويصير إلى الجنة من حيث جاء ، « فهو من الجنة في الأصل ، فلما جُعِل في الأرض اقتضت الحكمة الإلهية أن يُراعى فيه حكم نشأة الأرض فطُمِسَ نوره »[(١)] ، كما ورد في النصوص السابقة .

٦- من مواطن إجابة الدعاء خلف المقام :

عن الإمام التابعي الحسن البصري رحمه الله ، المتوفى سنة ١١٠هـ قال في رسالته[(٢)] :

« يقال : إن الله عزوجل يستجيب الدعاء في خمسة عشر موضعاً ، وذَكَرَ منها : خلف المقام » .

وقد نَصَّ كثير من العلماء والفقهاء[(٣)] على استحباب الدعاء عقب ركعتي الطواف خلف المقام ، لأنه من مواطن إجابة الدعاء .

---

(١) حجة الله البالغة للشاه ولي الله الدهلوي ٦٥/٢ .

(٢) تنظر رسالته في أخبار مكة للفاكهي ٢٨٨/٢-٢٩١ .

(٣) ينظر مناسك النووي ص٢٦٠ ، وهداية السالك لابن جماعة ٨٦٢/٢ ، وفتح القدير لابن الهمام ٣٦٠/٢ ، ومناسك الإمام علي القاري ص٩٤ ، وغيرها .

وعلى هذا يدعو المصلي خلف المقام بما أحبَّ من أمور الدنيا والآخرة ، والأفضل أن يدعو بما هو مأثور ، وفيما يلي بعض الأدعية المأثورة في هذا المكان المبارك .

❋ بعض الأدعية المأثورة[١] عقب ركعتي الطواف خلف المقام :

١- دعاء نبي الله آدم عليه الصلاة والسلام ، حيث روي أنه دعا بهذا الدعاء خلف المقام ، أي في نفس البقعة التي وُضع فيها المقام فيما بعد والله أعلم ، ونصه كما ذكره العلماء في كتب التفسير والفقه والمناسك[٢] :

« اللهم إنك تَعْلَم سرِّي وعلانيتي فاقْبَلْ مَعْذِرتي ، وتعلم حاجتي فأَعْطِنِي سُؤْلي ، وتعلم مافي نَفْسي فاغفر لي ذنوبي .

اللهم إني أسألك إيماناً يُباشر قلبي ، ويقيناً صادقاً حتى أعلمَ أنه

---

(١) هكذا سماها كثير من الأئمة العلماء حين نقلوها في كتبهم ، وهي تشمل المرفوع وغيره ، وهذه الأحاديث والآثار وإن كان فيها ضعف ، فباب الفضائل واسع ، ومع هذا يُحتاط فيها بأن لايُعتقد عند العمل بها ثبوتها ، وعلى كلٍ فهي دعوات مباركات من خير مايدعو به الداعي في هذا المقام المبارك .

(٢) ذكره الإمام علي القاري في المناسك ص٩٤ وقال : « رواه الأزرقي والطبراني في الأوسط والبيهقي في الدعوات وابن عساكر ، وورد أن آدم عليه السلام دعا به خلف المقام ، وفي رواية عند الملتزم ، وفي رواية عند الركن اليماني ، ولامنافاة بين الروايات لاحتمال أنه دعا به في كل المقامات » . اهـ .

ويُنظر الدر المنثور للسيوطي ٥٩/١ ، وكنز العمال ٥٧/٥ ، وممن ذكره أيضاً على أنه دعاء مأثور الإمام ابن الهمام في فتح القدير ٣٦٠/٢ ، وابن حجر الهيتمي في حاشيته على مناسك النووي ص٢٦٠ ، وغيرهما .

لأيصيبني إلا ماكَتَبْتَ لي ، ورضاً بما قَسَمْتَ لي ياأرحم الراحمين .

رُوي أنه أَوْحى الله تعالى إلى آدم : ياآدم إنك دعوتَني دعاءً استَجَبْتُ لك منه ، وغفرت ذنوبك ، وفرَّجت همومك وغمومك ، ولن يدعوَ به أحد من ذرِّيَّتك مِن بعدك إلا فعلتُ ذلك به ، ونَزَعْتُ فَقْره من بين عينيه ، واتَّجَرتُ له مِن وراء كل تاجر ، وأَتَته الدنيا وهي كارهة وإن لم يُرِدْها » .

٢- ومما روي من الأدعية المأثورة خلف المقام :

مانقله الإمام ابن جماعة[1] عن الإمام الماوردي رحمه الله قال :

« ويُستحب أن يدعوَ بما رُوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صلَّى خلف المقام ركعتين ثم قال :

اللهم هذا بلدك والمسجد الحرام وبيتُك الحرام ، وأنا عبدك وابن عبدك وابن أَمَتِكَ ، وقد جئتُك طالباً رحمتك ، مبتغياً مرضاتك ، وأنت مَنَنْتَ عليَّ بذلك ، فاغفر لي وارحمني إنك على كل شيء قدير » .

٣- ونَقَلَ الإمامُ ابن جماعة[2] عن الإمام الحافظ أبي عَمْرو ابن الصلاح قال :

« إن مما يُدعى به بعد الركعتين خلف المقام :

اللهم إني عبدك وابن عبدك ، أتيتُك بذنوب كثيرة ، وأعمال سيئة ، وهذا مقام العائذ بك من النار ، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم .

---

(١) هداية السالك ٨٦٢/٢ ، وذكره ابن حجر الهيتمي في حاشيته على مناسك النووي ص٢٦٠ وغيره .

(٢) هداية السالك ٨٦٤/٢ وذكره أيضاً ابن حجر الهيتمي وغيره .

وقال : إنه يعني بالعائذ من النار : نفسَه .

وقال : إن بعض مصنِّفي المناسك المشهورة توهّم أنه إشارة إلى مقام إبراهيم ، وأن العائذ هو إبراهيم ﷺ .

وقال الشيخ أبو عمرو : إن ذلك غلط فاحش » اهـ .

٤- وذَكَرَ الإمامُ ابن جماعة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا قَدِمَ حاجّاً طاف أسبوعاً ، ثم صلى ركعتين ، وطوّل فيهما الجلوس ، فيكون الجلوس أطول من قيامه لَمَدْحه ربَّه ، وطَلِبَته حاجته ، يقول مراراً :

اللهم اعْصِمْني بدِينك وطاعتك ، وطواعية رسولك ﷺ ، اللهم جَنِّبْني حدودك ، اللهم اجعلني ممن يُحبُّك ويُحِبُّ ملائكتك ويُحِبُّ رُسُلك ويُحبُّ عبادك الصالحين .

اللهم حَبِّبْني إليك وإلى ملائكتك وإلى رُسُلِك وإلى عبادك الصالحين .

اللهم يسِّر لي اليُسرى ، وجنِّبني العسرى ، واغفر لي في الآخرة والأُولى .

اللهم اجعلني أُوفي بعهدك الذي عاهَدتُ عليه ، واجعلني من أئمة المتقين ، ومن ورثة جنَّة النعيم ، واغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وكان يقول ذلك على الصفا والمروة وبعرفات وبَجْمع - أي مزدلفة - وعلى الجمرتين وفي الطواف »[1] اهـ .

---

(١) هداية السالك ٨٦٣/٢ وعزا تخريجه لأبي ذر ، وكذلك الطبري في القِرى ص٣٥٢ .

٥- روى ابن الجوزي(١) رحمه الله بسنده إلى صالح المُرِّي عن عبد العزيز بن أبي روَّاد - المتوفى سنة ١٥٩هـ - أنه كان خلف المقام جالساً، فسمع داعياً دعا بأربع كلمات، فعجب منهن وحَفِظَهُنَّ، فالتفت فلم ير أحداً، وهي:

اللهم فرِّغْني لما خَلَقْتَني له، ولاتَشْغَلني بما تكفَّلتَ لي به، ولاتَحرِمني وأنا أسألك، ولاتعذِّبني وأنا أستغفرك» .

❋ تذكُّر المصلي والداعي خلف المقام تلك المقامات الإبراهيمية النبوية العليّة :

لما كان من حِكَم الصلاة خلف المقام تَذَكُّرُ باني البيت العتيق، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، الذي جَعَلَه الله تعالى لنا قدوةً وأسوةً حسنة حيث قال سبحانه:

﴿ قد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ والذين معه ﴾ سورة الممتحنة: ٤ .

فهو عليه الصلاة والسلام قدوة في صفاته الحميدة وأخلاقه المجيدة، وما منّ الله تعالى به عليه من مقامات عليّةٍ سَنِيَّة .

فحَرِيٌّ بالمصلي وهو قائمٌ خلف هذا المقام الحسّي، وهذا الحجر المبارك الذي قام عليه إبراهيم الخليل أن يلاحظ ويَذْكر تلك المقامات العلية، والإكرامات الإلهية التي أفاض الله بها على نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ويسألَ الله تعالى في هذا الموطن الذي تُجاب فيه

---

(١) مثير العزم أو (الغرام) الساكن إلى أشرف المساكن. مخطوط لوحة ١٠٢ .

الدعوات ، وتُرجى فيه البركات أن يَكْتُبَ له من تلك المقامات الإبراهيمية النبوية أوفر الحظ والنصيب ، فهو سبحانه القريب المجيب .

❋ وقد ذكر الله تعالى مقامات إبراهيم عليه الصلاة والسلام في كتابه العزيز في آيات كثيرة ، ومن هذه المقامات التي حباها الله تعالى لخليله على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام مايلي :

١- أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان حَنِيفاً مُسْلِماً ، أي متَّبعاً أَمْر الله تعالى ، مستقيماً على الهدى ، مسلِماً خاشعاً لله ، ولم يك من المشركين .

قال تعالى : ﴿ ماكان إبراهيمُ يهودياً ولانصرانياً ولكن كان حَنِيْفاً مُسلِماً وما كان من المشركين ﴾ آل عمران:٦٧ .

٢- أنه خليل الله :

قال تعالى : ﴿ واتَّخَذ الله إبراهيمَ خليلاً ﴾ النساء:١٢٥ .

٣- أنه حليمٌ أوّاه مُنِيب ، أي حليم عمن أساء إليه ، كثير الأَناة ، أوّاه كثيرُ التضرع لربه ، والتأوِّهِ على الذنوب ، منيبٌ رجّاع إلى طاعة ربه .

قال تعالى : ﴿ إنَّ إبراهيمَ لحليمٌ أوَّاهٌ مُنِيب ﴾ هود:٢٥ .

٤- أنه كان أُمَّةً قانتاً لله حنيفاً ، أي كان جامعاً للخير ، إماماً يُهتَدَى به ، قانتاً لله مطيعاً له ، حنيفاً : مائلاً عن كل دين باطل إلى دين الحق ، غير زائل عنه ، مستقيماً على دين الإسلام .

قال تعالى : ﴿ إنَّ إبراهيمَ كان أُمَّةً قانتاً لله حَنِيْفاً و لم يكُ من المشركين ﴾ النحل: ١٢٠ .

٥- أنه كان شاكراً لِنِعَم الله ، مُجْتَبىً مَهدِيّاً .

قال تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ شاكراً لأَنْعُمِه اجْتَبَاه وهَدَاه إلى صراطٍ مستقيم ﴾ النحل: ١٢١ .

٦- أنه كان صِدِّيقاً نبياً .

قال تعالى : ﴿ واذْكُرْ في الكتابِ إبراهيمَ إنه كان صدّيقاً نبيّاً ﴾ مريم: ٤١ .

٧- أن الله تعالى نجّاه من النار ، فكانت عليه برداً وسلاماً .

قال تعالى : ﴿ قُلْنا يانارُ كُوني بَرداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ الأنبياء: ٦٩ .

٨- مقام الوفاء .

قال تعالى : ﴿ وإبراهيمَ الذي وَفَّى ﴾ النجم: ٣٧ .

٩- أنه أسوة وقدوة حسنة في كل شيء ، وبالأخص في التَبرّي من الكفار وماهم عليه .

قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أُسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا بُرَآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كَفَرنا بكم وبَدَا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحدَه ﴾ الممتحنة: ٤ .

وغير هذا من المقامات الإبراهيمية النبوية التي تفضَّل الله تعالى بها عليه[١] .

* ولاينسى المصلي والداعي خلف المقام أيضاً أن يسأل الله تعالى من فضله العظيم أن يُلحقه بالمقامات المحمدية النبوية السَّنِيَّة ، وأن يُدْخِله فيها ، فهو ﷺ سيد الأولين والآخرين ، وسيد الأنبياء والمرسلين ، وحبيب رب العالمين ، صاحب المقام المحمود والحوض المورود ، وصاحب لواء الحمد : آدم فمن دونه تحت لوائه ﷺ ، وهو الذي كان فضل الله عليه عظيماً .

نسأل الله تعالى باسمه العظيم الأعظم أن يرزقنا كمال اتباعه ﷺ وزيادة محبته ، وأن يحشرنا في زمرته ، وتحت لوائه ﷺ ، وأن يتفضل علينا وعلى والدينا ومشايخنا والمسلمين أجمعين بما هو أهله ، هو أهل التقوى وأهل المغفرة .

*** تحرّي الصحابة الكرام والسلف الصالح للجلوس خلف المقام للعبادة كالصلاة وذكر الله والدعاء ونحوها :**

عَقَدَ الإمامُ الفاكهي رحمه الله في كتابه : (أخبار مكة) باباً سَمَّاه : ذِكْر الجلوس خلف المقام ومَن جلس فيه ، وباباً آخر لذكر أخبار المصلِّين خلفه ، وساق فيهما جملةً من أخبار الصحابة والتابعين ومَن بعدهم في تحرّيهم وتقصّدهم للجلوس خلف المقام ، حين يأتون إلى المسجد الحرام ، وبخاصة في أوقات الأسحار ، يملؤون أوقاتهم بأنواع العبادة والخير ،

---

(١) نبَّه إلى تذكر هذه المقامات الإبراهيمية الشيخ علي دده البسنوي في رسالته عن المقام (مخطوط) لوحة ٨ .

فيجتهدون في صلاة النافلة خلفه ، وفي مذاكرة العلم والخير وهكذا ، وماقَصْدُهم لهذا المكان إلا لفضله وشرفه ومزيته على غيره من نواحي المسجد الحرام .

وفي هذا يقول سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « خير المسجد : خلفَ المقام وعن يمين الإمام »[١] .

وفيما يلي جملة من أخبارهم في ذلك ، فبذكر الصالحين تنزل الرحمات ، وبالاطلاع على جِدِّهم واجتهادهم في هذا الخير ينشَط المسلم لذلك ، ويكون عوناً له على الاقتداء بأولئك ، ولاسيّما هم خير قدوة وأسوة .

*** فمن أخبار المصلّين خلف المقام :**

١- مارواه الفاكهي[٢] بسنده عن عامر بن عَبْدة قال : قُمْتُ ذات ليلة خلف المقام ، فإذا رجلٌ شديدُ بياض الثياب ، طيِّب الرِّيح ، ورَجُلٌ يفتح عليه إذا أخطأ ، فإذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه .

٢- وروى الفاكهي[٢] أيضاً بسنده « عن طاوس قال : بينما أنا في المسجد الحرام بالسَّحَر ، إذا أنا برجلٍ ساجدٍ خلف المقام وهو يقول في سجوده :

اللهم فاطر السموات والأرض عالِمَ الغيبِ والشهادة ، أنتَ تَحْكُم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، إن كنتَ كَتَبْتَني في الكتاب شقياً محروماً ، مقدَّراً[٣] عليَّ في رزقي ، فامْحُ عني اسم الشقاء ، وأَثْبِتْني عندك

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ١/٤٦٦ .

(٢) ١/٤٦٢ .

(٣) أي مُضَيَّقاً .

سعيداً موسَّعاً عليَّ في رزقي ، فإنك تقول في كتابك : ﴿ يَمْحُ الله مايشاء ويُثْبت وعنده أمُّ الكتاب ﴾ . وأعتِقْني والعباسَ بن عبدالمطلب وفلانةً ، أُمَّه قد سمَّاها – إلا أنه قد نَسِيَ الراوي اسمها [١]– من النار .

فإذا هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما » .

٣– وكان من حِرصِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على هذا المكان المبارك خلف المقام، ماروواه عنه الفاكهي[٢] بسنده « عن نافع قال : مارأيتُ ابنَ عمر رضي الله عنهما مصلياً في المسجد الحرام قطّ ، إلا والمقام بينه وبين البيت » .

٤– وروى الفاكهي[٣] « عن ثابتٍ قال : مَرَرْتُ بعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وهو يصلي خلف المقام كأنه خَشَبَة » من شدة خشوعه رضي الله عنه .

٥– وروى أيضاً [٤] « عن عبّاد بن منصور قال : رأيت عمرَ بن عبدالعزيز رضي الله عنه يصلي خلف المقام مُخْبِتاً تطوعاً » .

٦– وروى أيضاً [٥] « عن سالم بن أبي حفصة قال : أول ماعرفتُ سعيدَ بن جبير بمكة ، صليتُ ليلة خلف المقام ، فلبِثْتُ قريباً من سعيد ، وأنا لاأعرفه بعدُ ، فقلت : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، كما

---

(١) هي أم الفضل لُبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية ، أخت أم المؤمنين ميمونة ، ينظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣١٤/٢ .

(٢) ٤٦٤/١ .

(٣) ٤٦٢/١ .

(٤) ٤٦٦/١ .

(٥) ٤٦٥/١ .

صليتَ على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وآل محمد ، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنَّك حميد مجيد .

فحَصَبَني[١] سعيد ، وكأنه أَعْجَبَه ماقلتُ ، فقال : مَن أنت ؟ قلت : مِن أهل الكوفة ، فسَرَّه ذلك .

٧- وروى الفاكهي[٢] « عن سفيان قال : سمعتُ أعرابياً عند مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول :

اللهم لاتحرِمني خيرَ ما عندك لشرٍّ ماعندي ، اللهم إن كنتَ لم تَقْبَل تَعَبي ولا نَصَبي ، فأعْطِني أجرَ المصاب على مصيبته .

اللهم إنَّ لك عندي حقوقاً ، فأسألك أن تَهَبَهَا لي ، وإنَّ للناس عندي تَبعَات فأسألك أن تحمِلَها عني ، ولكلِّ ضيفٍ قِرَى ، فاجعَل قِرَاي في هذه العشيّة الجنة » .

*** ومن أخبار جلوسهم خلف المقام لمذاكرة العلم والخير :**

١- ماروواه الفاكهي[٣] بسنده عن عطاء عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه سمعه خلف المقام يقول : قال النبي ﷺ :

« مَن جهَّز غازياً أو خَلَفَه في أهله كان له مثل أجره »[٤] .

---

(١) أي رماه بحصبة من حصباء الحرم - حجرة صغيرة - لينتبه له .

(٢) ٤٦٧/١ .

(٣) ٤٥٢/١ .

(٤) صحيح البخاري ، الجهاد ، باب فضل من جهز غازياً ٤٩/٦ ، صحيح مسلم ، الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله ١٥٠٧/٣ .

٢- وروى[١] أيضاً بسنده عن ابن جريج قال : إني وعطاء لجالسان وراء المقام ذات عشيّة ومامعنا أحد ، إذ جاء الأعمش فاستقبلتُه فقال : ياأبا محمد أَنْبَأْتَني أنك سمعتَ جابرَ بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : « أَهْلَلْنا بالحج خالصاً ؟ » فقال : قد أخبرناك ، فدَعْنا منك .

*** ومن أخبار جلوسهم خلف المقام لذكر الله والدعاء :**

عَقَدَ الإمام الفاكهي في كتابه : (أخبار مكة[٢]) باباً سَمَّاه : ذِكْر القَصص بمكة ، وهو ذكر الله والدعاء في المسجد الحرام خلف المقام ثم قال :

« وكان القاصُّ يقوم في المسجد الحرام بعد صلاة الصبح ، فيَذكر الله تعالى ، ويدعو ويؤمِّن الناس ، وذلك خلف المقام بعد تسليم الإمام ، وكان عبيد بن عمير بن قتادة الليثي أول مَن فَعَلَه ثم هلمّ جرّا » .

وعبيد هذا هو الواعظ المفسِّر ، من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة ، وكان يذكِّر الناس ، ويحضُرُ ابنُ عمر رضي الله عنهما مجلسه ، توفي سنة ٩٣ قبل أيامٍ من وفاة ابن عمر[٣] .

*** عظيم قدر الجلسة خلف المقام :**

« روى ابن الجوزي[٤] رحمه الله بسنده إلى علي بن محمد الشيرازي

---

(١) ٤٥٣/١ .

(٢) ٣٣٨/٢ .

(٣) كما في سير أعلام النبلاء ١٥٦/٤ .

(٤) مثير العزم أو (الغرام) الساكن إلى أشرف المساكن . مخطوط لوحة ١٠٣ .

قال : سمعت إبراهيم الخواص - المتوفى ٢٩١هـ - يقول : رأيت شاباً في الطواف متّزراً بعَباءة ، متّشحاً بأخرى ، كثير الطواف والصلاة ، فوَقَعَت في قلبي محبَّته ، فَفُتِح لي بأربعمائة درهم ، فجئتُ بها إليه وهو جالس خلف المقام ، فوضعتُها على طرف عباءته ، وقلت له : ياأخي اصرِفْ هذه القطيعات في بعض حوائجك ، فقام وبدَّدَها في الحصى ، وقال ياإبراهيم : اشتريتُ من الله عزوجل هذه الجلسة بسبعين ألف دينار ، تريد أن تَخْدَعني عن الله عزوجل بهذا الوَسَخ .

قال إبراهيم : فما رأيتُ أذَلَّ من نفسي ، وأنا أَجْمَعُها من بين الحصى ، ومارأيت أعزَّ منه وهو ينظر إلي ، ثم ذهب » .

❋ ومن أخبار الطير حول البيت وخلف المقام :

ماذكره أبو الوليد الأزرقي ، المتوفى سنة ٢٥٠هـ في كتابه (أخبار مكة) قال :

« أَقْبَلَ طائرٌ أشَفُّ من الكُعَيْت[١] شيئاً ، لونُه لون الحِبَرَة ، بريشة حمراء وريشة سوداء ، دقيقُ الساقين طويلُهما ، له عنقٌ طويلة ، دقيقُ المِنقار طويلهُ ، كأنَّه من طير البحر ، يوم السبت يوم سبعٍ وعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائتين ، حين طلعت الشمسُ ، والناسُ إذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم ، من ناحية أجياد الصغير ، حتى وقَعَ في المسجد الحرام وقريباً من مصباح زمزم ، مقابلَ الركن الأسود ، ساعةً طويلة .

---

(١) أي أكبر من البلبل .

قال : ثم طار حتى صَدَمَ الكعبة في نحوٍ من وسطها بين الركن اليماني والركن الأسود ، وهو إلى الأسود أقرب ، ثم وَقَعَ على مَنْكِب رجلٍ في الطواف عند الركن الأسود من الحاجّ من أهل خراسان ، مُحْرِمٍ يُلبّي ، وهو على مَنْكِبه الأيمن ، فطاف الرجل به أسابيعَ ، والناس يَدنُون منه ، وينظرون إليه وهو ساكن غير مستوحش منهم ، والرَّجلُ الذي عليه الطير يمشي في الطواف في وسط الناس ، وهم ينظرون إليه ويتعجَّبون ، وعينا الرجل تدمعان على خدَّيه ولحيته .

قال : وأخبرني محمد بن عبد الله بن ربيعة قال : رأيتُه على مَنْكِبه الأيمن والناس يدنُون منه وينظرون إليه ، فلاينفِر منهم ولايطير ، وطُفْتُ أسابيعَ ثلاثة ، كل ذلك أخرجُ من الطواف فأركع خلف المقام ، ثم أعود وهو على مَنْكِب الرجل .

قال : ثم جاء إنسان من أهل الطواف ، فوَضَعَ يده ، عليه فلم يَطِرْ ، وطاف بعد ذلك به ، ثم طار هو من قِبَل نفسه حتى وَقَعَ على يمين المقام ساعةً طويلة ، وهو يمدُّ عُنُقَه ويقبِضُها إلى جناحه ، والناس مستكفون له ينظرون إليه عند المقام ، إذ أقبل فتىً من الحَجَبَة ، فضرب بيده فِيهِ ، فأخَذَه ليرِيه رجلاً منهم كان يركع خلف المقام ، فصاح الطير في يده أشدَّ صياحٍ وأوحشَه ، لايُشْبه صوتُه أصوات الطير ، ففَزِع منه ، فأرسله من يده ، فطار حتى وَقَعَ بين يدي دار النَّدوة خارجاً من الظلال في الأرض ، قريباً من الأسطوانة الحمراء ، واجتمع الناس ينظرون إليه ، وهو

مستأنس في ذلك كله ، غيرُ مستوحش من الناس ، ثم طار هو من قِبَل نفسه ، فخرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ودار العجلة نحو قُعَيْقِعَان[١] »[٢] اهـ .

* * * * *

(١) جبل يقابل جبل أبي قُبَيْس ، كما في تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١١١/٣ القسم الثاني ، وقال ياقوت في معجم البلدان ٣٧٩/٤ : والواقف على قعيقعان يشرف على الركن العراقي اهـ ، أي الذي يلي الركن الذي فيه الحَجَرَ الأسود .

(٢) أخبار مكة للأزرقي ١٧/٢-١٨ ، إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢٩٤/٢-٢٩٦ في حوادث سنة ٢٢٦هـ .

الباب الخامس
حول قوله تعالى ﴿ واتَّخِذوا مِن مَقام إبراهيمَ مُصَلًّى ﴾
من الناحية الفقهية

١- سبب نزول هذه الآية الكريمة :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال عمر رضي الله عنه : « وافقت ربي في ثلاث : فقلت : يارسول الله لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مُصَلًّى ﴾ ... » الحديث[1] .

« وروى أبو نُعَيم في الدلائل من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : أَخَذَ النبيُّ ﷺ بيد عمر ، فمرَّ به على المقام ، فقال له : هذا مقام إبراهيم ، قال عمر : يانبي الله ألا نتَّخِذه مصلى ؟ فنزلت »[2] .

« قال ابن الجوزي رحمه الله :

إنما طَلَب عمرُ الاستنان بإبراهيم عليه السلام - أي الصلاة خلف المقام كما فعل إبراهيم عليه السلام - مع النهي عن النظر في كتاب التوراة ، لأنه سمع قول الله تعالى في حق إبراهيم : ﴿ إني جَاعِلُكَ للناس إماماً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ أن اتَّبِعْ ملَّة إبراهيم ﴾ فعَلِمَ أن الائتمام بإبراهيم

---

(١) تقدم ص٩٢ حاشية (٥) .

(٢) ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ١٦٩/٨ في زيادات الباب فهو صحيح أو حسن على قاعدته .

من هذه الشريعة ، ولكَوْن البيت مضافاً إليه ، وأنَّ أَثَرَ قدميه في المقام كرَقْم الباني في البناء لِيُذكَر به بعد موته ، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسمَ مَن بَنَاه .

قال الحافظ ابن حجر : وهي مناسبة لطيفة »[١] .

٢- استحباب صلاة ركعتي الطواف خلف المقام :

روى البخاري في صحيحه[٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

« قَدِمَ النبيُّ ﷺ فطاف بالبيت سبعاً ، وصلَّى خلف المقام ركعتين ، ثم خرج إلى الصفا ، وقد قال الله تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنة ﴾ » الحديث .

وروى مسلم في صحيحه[٣] عن جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي ﷺ قال : « حتى إذا أتينا البيتَ معه ﷺ استلم الركنَ فرَمَلَ ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم نَفَذَ إلى مقام إبراهيم عليه السلام فقرأ : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ فجَعَلَ المقامَ بينه وبين البيت ، وكان يقرأ في الركعتين : ﴿ قل هو الله أحد ... ﴾ و ﴿ قل ياأيها الكافرون ... ﴾ » الحديث .

وعلى استحباب ركعتي الطواف خلف المقام جمهور المفسرين

---

(١) فتح الباري ١٦٩/٨ .

(٢) الحج ، باب من صلى ركعتي الطواف خلف المقام ٤٨٧/٣ .

(٣) الحج ، باب حجة النبي ﷺ ٨٨٧/٢ .

والفقهاء ، كما قال الإمام علي القاري[١] رحمه الله .

❁ وتتحقق الصلاة خلف المقام بكل مايَصْدُق عليه ذلك عُرْفاً ، خلف المقام وما حوله ، فلاتُشترط معاينة المقام تماماً ، كما نصَّ على ذلك الفقهاء رحمهم الله .

وقد نقل ابنُ المنذر الإجماعَ[٢] على جواز صلاة ركعتي الطواف في أيٍّ موضع كان ، إلا ماذُكر عن الإمام مالك رحمه الله من كراهة صلاتهما في البيت والحِجْر ، لكون المصلي مأموراً بالاتجاه إلى البيت ، والمصلي في البيت أو الحِجْر هو فيه ، وليس متجهاً إليه .

وعلى هذا فالأفضل صلاة ركعتي الطواف خلف المقام ، ثم في الكعبة - إن تيسَّر - ثم تحت الميزاب ، ثم فيما قَرُب من الحِجْر إلى البيت ، ثم في بقيّته ، ثم إلى وجه البيت ، ثم ماقرُب إلى البيت ، ثم في بقية المسجد ، ثم في بقية مكة ، ثم في الحرم ، وإلا فخارج الحرم ولو في وطنه[٣] .

---

(١) المناسك ص٩٤ ، ونصَّ ابنُ عابدين في حاشيته (رد المختار) ٤٩٩/٢ على أن أداءَهما خلف المقام يُستحب مؤكّداً .

وينظر لبقية المذاهب : شرح الحطاب على خليل ١١١/٣ ، الخرشي على خليل ٣٢٨/٢ ، مناسك النووي مع الحاشية لابن حجر ص٢٥٨ ، شرح صحيح مسلم ١٧٥/٨ ، المغني ٤٠٠/٣ ، كشاف القناع ٤٨٤/٢ ، شرح منتهى الإرادات ٥٣/٢-٥٤ .

(٢) ينظر المجموع للنووي ٦٢/٨ ، وفتح الباري ٤٨٨/٣ ، وينظر كلام المالكية في شرح الحطاب على خليل ١١/٣ .

(٣) ينظر مناسك النووي مع حاشية ابن حجر الهيتمي ص٢٥٨ ، ومناسك الإمام علي القاري ص٩٤ .

* والدليل على عدم وجوب تعيّن ركعتي الطواف خلف المقام ، وجوازهما حيث رَكَعهما المصلي ، مارواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه[١] :

« عن أم سَلَمَة رضي الله عنها زوجِ النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال وهو بمكة وأراد الخروج ، ولم تكن أم سلمة طافت بالبيت وأرادت الخروج ، فقال لها رسول الله ﷺ : إذا أُقيمت صلاة الصبح فطوفي على بعيرك والناس يصلّون ، ففعَلَتْ ذلك ، فلم تصلِّ حتى خرجت » الحديث .

« وفي روايةِ حسان عند الإسماعيلي[٢] : وإذا قامت صلاةُ الصبح فطوفي على بعيرك من وراء الناس وهم يصلّون ، قالت : ففعلتُ ذلك ، ولم أُصلِّ حتى خرجت - أي فصلَّيت - » .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

« قوله : (فلم تصلِّ حتى خرجت) أي من المسجد أو من مكة ، فدلَّ على جواز صلاة الطواف خارجاً من المسجد ، إذ لو كان ذلك شرطاً لازماً لما أقرَّها النبيُّ ﷺ على ذلك »[٢] .

وأيضاً « فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رَكَعَهما[٣] بذي طوى

---

(١) الحج ، باب من صلى ركعتي الطواف خارجاً من المسجد ٤٨٦/٣ .

(٢) فتح الباري ٤٨٧/٣ .

(٣) ذكره البخاري معلقاً في ترجمة الباب ٤٨٨/٣ باب الطواف بعد الصبح والعصر ، الموطأ ٣٦٨/١ .

وهو موضع في أسفل مكة[١] .

وتقدم قبل قليل النَّقل عن ابن المنذر الإجماعَ على جوازهما في أي موضع شاءِ ، إلا ماذُكِرَ عن الإمام مالك رحمه الله من كراهته صلاتهما في البيت والحِجْر .

❁ وهذا الاستحباب في كون ركعتي الطواف خلف المقام ، هو في حق الرجال ، أما النساء فقد نصَّ الإمام ابن جماعة رحمه الله على أنه « لايُستحب للنساء الصلاة خلف المقام أو في غيره من المسجد مزاحمة للرجال ، وهذا مما لايكاد يُختلَف فيه ، لما يُتوقع بسببه من الضرر »[٢] .

فعلى المرأة أن تصلي ركعتي الطواف آخر المسجد الحرام خلف المقام ، مبتعدة عن الرجال ومزاحمتهم ، وعسى بذلك أن تنال من الله تعالى فضلاً أكبر ، وثواباً أعظم .

❁ ومما يُنبَّه إليه هنا أن طواف كثير من الطائفين بالبيت هو فرضٌ في

---

(١) طوى بفتح الطاء وضمها للأكثر ، وتكسر ، موضع في أسفل مكة وأنت متَّجه نحو طريق العمرة ، كما في فتح الباري ٤١٣/٣ ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي ١١٥/٣ ، وهو موضع معروف الآن في مكة المكرمة ، في حي جرول ، وأنت متَّجه إلى طريق العمرة ، ولاتزال البئر معروفة وباقية حتى الآن ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا دخل أدنى الحرم - أي مكة - أمسك عن التلبية ، ثم يبيت بذي طوى ، ثم يصلي به الصبح ويغتسل ، ويحدّث أن النبي ﷺ كان يفعل ذلك ، كما في صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الاغتسال عند دخول مكة ٣٤٥/٣ .

(٢) هداية السالك إلى أوضح المناسك لابن جماعة ٨٦٤/٢ .

حقهم ، لاسيما في مواسم الحج والعمرة ، والصلاةُ خلف المقام مستحبة ، فيقدَّم صاحبُ الفرض على غيره ، ولهذا يَحسُن بالمصلِّين خلف المقام أن يوسِّعوا للطائفين ، وليتأخروا عن المقام قليلاً ، ولْيَنْوِ المتأخِّرُ التوسعةَ والفُسحة لوفد الله وضيوفه من الحجاج والعمار ، عسى أن يَفسح الله له في الدنيا والآخرة .

وبهذا يكون المتأخِّر قد جَمَعَ بهذه النية بين فضيلتين : الأولى : تَحَقُّقُ صلاته خلف المقام ، والثانية : توسعته على وفد الله والطائفين ببيت الله الحرام .

بل يُخْشَى على مَن صلى خلف المقام ، وسبَّب أذى للطائفين بمزاحمته ومضايقته لهم ، أن يناله الإثم الكبير والوزر العظيم .

اللهم فقِّهْنا في ديننا ، وألهمنا الرشد والصواب .

٣- استحباب الصلاة مطلقاً خلف المقام :

سواء أكانت صلاة ركعتي الطواف أم غيرها .

قال الإمام الفقيه الشافعي إلْكِيَا[1] الهرَّاسي رحمه الله ، المتوفى سنة ٥٠٤ هـ ، في كتابه : (أحكام القرآن[2]) عند قوله تعالى : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ :

« يدل على ركعتي الطواف وغيرهما من الصلوات » اهـ .

---

(١) (إلْكِيَا) في اللغة العجمية هو الكبير القَدر ، المقدَّم بين الناس ، كما في وفيات الأعيان ٢٨٩/٣ .

(٢) ١٧/١ طبعة المكتبة العلمية بيروت ط١ ١٤٠٣هـ .

وقال الإمام الآلوسي في روح المعاني[١] عند تفسير الآية السابقة :

« والأمر فيها للاستحباب ، إذ المتبادر من ﴿ مصلى ﴾ موضع الصلاة مطلقاً .

وقيل : المراد به الأمر بركعتي الطواف ، لما أخرجه مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما فَرَغَ من طوافه عَمَدَ إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين ، وقرأ الآية ، فالأَمْر للوجوب على بعض الأقوال .

ولايخفى ضعفه ، لأن فيه التقييد بصلاة مخصوصة من غير دليل ، وقراءته ﷺ للآية حين أداء الركعتين ، لايقتضي تخصيصه بهما » اهـ .

ومما يدل على استحباب الصلاة مطلقاً خلف المقام ، مانُقِلَ عن كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين من تحرّيهم لاتخاذ مقام إبراهيم مصلى لهم في صلاة النافلة في وقت السَّحَر وغيره ، كما تقدم[٢] .

٤- تعظيم شعيرة المقـام :

١- روى الفاكهي[٣] عن المغيرة عن أبيه قال : أراد الحَجَّاج أن يجعل رِجْله على المقام ، فنهاه محمد بن علي رضي الله عنهما .

٢- وروى أيضاً[٣] عن المغيرة عن أبيه قال : كان الحَجَّاج دوماً يصلي بالناس في المسجد الحرام ، فمالَ المقام ، فتناوله الحجاج ليسوِّيه برِجْله ، فتقدَّم محمد بن الحنفية رضي الله عنه فغطَّاه بثوبه ثم سوَّاه بيده .

---

(١) ١/٣٨٠ .

(٢) ص١٤٥ .

(٣) ١/٤٥٨ .

٥- مسح المقام :

١- روى الفاكهي[1] عن بشير قال : رأيت ابن الزبير رضي الله عنهما ، وأتى على قوم يمسحون المقام ، فقال : إنكم لم تُؤمروا بمسحه ، إنما أُمِرْتُم بالصلاة عنده .

٢- وروى أيضاً[2] عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : أرأيت أحداً يُقبِّل المقام أو يمسّه ؟ قال : أما أحدٌ يُعتبر به فلا .

٣- وروى أيضاً[3] عن عطاء أنه كره أن يُقبِّل الرجل المقامَ أو يمسحه .

٤- وروى الأزرقي[4] عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ واتَّخِذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ قال : إنما أُمِروا أن يصلُّوا عنده ، ولم يُؤمروا بمسحه ، ولقد تكلَّفت هذه الأمة شيئاً ماتكلَّفته الأمم قبلها ، ولقد ذَكَرَ لنا بعضُ مَن رأى أثره وأصابعه ، فما زالت هذه الأمة تمسحه حتى اخْلَوْلَقَ وانْمَحَى » .

* * * * *

---

(١) ٤٥٧/١ ، مصنف ابن أبي شيبة ٦١/٤ ، مصنف عبد الرزاق ٤٩/٥ .

(٢) الفاكهي ٤٥٨/١ ، عبد الرزاق ٤٩/٥ .

(٣) الفاكهي ٤٥٨/١ .

(٤) ٢٩/٢ ، تفسير الطبري ٥٣٧/٢ .

* وبهذا تمَّ مايسّره الله تعالى لي من الكتابة عن فضل الحجر الأسود ومقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ولله الحمد والشكر على ماأنعم به وأَوْلى ، وأسأله سبحانه المزيد من فضله ، وأن يُتمَّ علينا نِعَمَه بكَرَمه وإحسانه ، وأن يَمُنَّ علينا بالقبول ، وينفعني بما كتبت يوم القدوم عليه جل وعلا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

* * * * *

فهرس المصادر

١- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، للنجم عمر بن فهد المكي ، ت ٨٨٥ ، تحقيق : فهيم محمد شتلوت ، من منشورات مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٩٨٣م .

٢- أحكام القرآن ، للجصاص أبي بكر أحمد بن علي ، ت ٣٧٠ ، تصحيح الشيخ محمد بشير الغزي الحلبي ، تصوير دار الكتاب العربي ببيروت عن الطبعة العثمانية .

٣- أحكام القرآن ، لابن العربي محمد بن عبد الله ، ت ٥٤٣ ، طبعة المكتبة العلمية ط١/ ١٤٠٣ ، بيروت .

٤- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، للفاكهي محمد بن إسحاق ، ت ٢٧٢ ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ط١/١٤٠٧ .

٥- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، للأزرقي محمد بن عبد الله ، ت ٢٤٤ ، تحقيق : رشدي صالح ملحس ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ط٤/ ١٤٠٣ .

٦- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ ، للنووي يحيى بن شرف ، ت ٦٧٦هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٩ .

٧- الأسماء والصفات ، للبيهقي أحمد بن الحسين ، ت ٤٥٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨- أسنى المطالب شرح روض الطالب ، زكريا بن محمد الأنصاري ، ت ٩٢٦ ، الناشر : المكتبة الإسلامية ، بيروت ، صورة عن الطبعة الميمنية بمصر .

٩- الإشاعة لأشراط الساعة ، محمد بن عبدالرسول الحسني البرزنجي ، ت ١١٠٣ ، مكتبة الثقافة ، المدينة المنورة .

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، ت ١٣٩٣ ، طبع عام ١٤٠٣ .

١٢- الأعلام ، خير الدين الزِّرِكْلي ، ت ١٣٩٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٦/ ١٩٨٤م .

١٣- الأم ، للإمام الشافعي محمد بن إدريس ، ت ٢٠٤ ، تصحيح محمد زهري النجار ، دار المعرفة ، بيروت .

١٤- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ، للمرداوي علي بن سليمان ، ت ٨٨٥ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢/١٤٠٠ .

١٥- البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، لابن نجيم زين الدين بن إبراهيم ، ت ٩٧٠ ، تصوير دار الممعرفة ، بيروت .

١٦- البداية والنهاية ، لابن كثير إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤ ، مكتبة المعارف ، بيروت .

١٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، للفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧ ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت .

١٨- تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٩- التاج والإكليل لمختصر خليل ، للمواق محمد بن يوسف ، ت ٨٩٧ ، مطبوع بحاشية مواهب الجليل = ينظر المواهب .

٢٠- تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي أحمد بن علي ، ت ٤٦٣ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٢١- التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي ، ت ١٤٠٠هـ ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ط١/ ١٣٨٥ .

٢٢- تاريخ الكعبة المشرفة ، حسين بن عبد الله باسلامة ، ت ١٣٦٤ ، ط٤/١٤٠٥ ، تصوير عن ط١ دار الكتاب العربي السعودي ، الناشر : مكتبة تهامة .

٢٣- تاريخ المدينة المنورة ، لابن شبة ، عمر بن شبة النميري ، ت ٢٦٢ ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، دار الأصفهاني بجدة .

٢٣- تبيين الحقائق بشرح كنز الدقائق ، للزيلعي عثمان بن علي ، ت ٧٤٣ ، دار المعرفة ، بيروت .

٢٤- تحفة المحتاج بشرح المنهاج ، لابن حجر الهيتمي أحمد بن محمد ، ت ٩٧٤ ، دار صادر ، بيروت .

٢٥- الترغيب والترهيب ، للمنذري عبد العظيم بن عبد القوي ، ت٦٥٦ ، باعتناء : مصطفى محمد عمارة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠١ .

٢٦- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ، لمحمد ابن محمد أبي السعود العمادي ، ت ٩٨٢ ، دار الفكر ، بيروت .

٢٧- تفسير البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، ت ٧٥٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢/ ١٤٠٣ .

٢٨- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، أبو جعفر الطبري محمد بن جرير ، ت ٣١٠ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط٢/ ١٣٧٣ .

٢٩- تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير إسماعيل بن عمر ، ت ٧٧٤ ، دار المعرفة ، بيروت .

٣٠- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي محمد بن عمر ، ت٦٠٦ ، المطبعة المصرية ، ١٩٣٨ .

٣١- تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ ، تحقيق : الشيخ محمد عوامة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط٣/ ١٤١١هـ .

٣٢- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ ، تصحيح : عبد الله هاشم اليماني ، ١٣٨٤ .

٣٣- تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي يحيى بن شرف ، ت ٦٧٦ ، صورة عن الطبعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٤- الثقات ، لابن حبان محمد بن حبان البستي ، ت ٣٥٤ ، صورة عن طبعة حيدر آباد الدكن ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

٣٥- الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي محمد بن أحمد ، ت ٦٧١ ، تصحيح : أحمد عبد العليم البردوني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ط١/ ١٩٥٤ .

٣٦- جزء فيه الجواب عن حال الحديث المشهور : ماء زمزم لما شرب له ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ ، مطبوع مع كتاب : فضل ماء زمزم ، سائد بكداش ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط٢/ ١٤١٥ .

٣٧- جواهر الإكليل شرح مختصر خليل ، للأُبّي صالح عبد السميع ، توفي في النصف الأول من القرن الرابع عشر دار المعرفة ، بيروت .

٣٨- حاشية ابن حجر الهيتمي على مناسك النووي ، أحمد بن محمد ، ت ٩٧٤هـ ينظر مناسك النووي .

٣٩- حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) ، محمد أمين بن عمر بن عابدين ، ت ١٢٥٢ ، ط٢ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٦ .

٤٠- حاشية السندي على سنن النسائي ، أبو الحسن نور الدين بن عبد الهادي السندي ، ت ١١٣٨ ، ينظر سنن النسائي .

٤١- حجة الله البالغة ، للشاه ولي الله الدهلوي أحمد بن عبد الرحيم ، ت١١٧٦ ، مصورة عن ط١/ ١٣٥٥ ، دار التراث ، القاهرة .

٤٢- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، للمحبي محمد أمين بن فضل الله ، ت ١١١١ ، دار صادر ، بيروت .

٤٣- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، الخزرجي أحمد بن عبد الله ، توفي بعد ٩٢٣ ، باعتناء الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، طبع دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٤١١ .

٤٤- الدر المختار شرح تنوير الأبصار (مع حاشية ابن عابدين) محمد بن علي الحصكفي ، ت ١٠٨٨ ، = حاشية ابن عابدين .

٤٥- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت٩١١ ، دار المعرفة ، بيروت .

٤٦- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ﷺ ، للبيهقي أحمد بن الحسين ، ت ٤٥٨ ، تحقيق : د.عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١/١٤٠٥ .

٤٧- الرسالة المقامية المكية (في فضل مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام) ، علي دده البسنوي ، ت ١٠٠٧ (مخطوط) .

٤٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الآلوسي ، ت ١٢٧٠ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٩- سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، ت ٢٧٥ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٥٠- سنن الترمذي (الجامع) ، محمد بن عيسى الترمذي ، ت ٢٧٩ ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت .

٥١- سنن الدارمي ، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ت ٢٥٥ ، تعليق : عبد الله هاشم يماني ، نشر باكستان ، حديث أكادمي .

٥٢- السنن الكبرى ، للبيهقي أحمد بن الحسين ، ت ٤٥٨ ، تصوير دار الباز عن طبعة حيدر آباد .

٥٣- سنن النسائي (مع شرح السيوطي وحاشية السندي والفهارس) أحمد بن شعيب النسائي ، ت ٣٠٣ ، طبع باعتناء الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط١/١٤٠٦ .

٥٤- سير أعلام النبلاء ، للذهبي محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ ، تحقيق : الشيخ شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢/ ١٩٨٢ م .

٥٥- سيرة ابن هشام (مع الرَّوْض الأُنُف) ، عبد الملك بن هشام ، ت ٢١٨ ، تحقيق : طه عبد الرؤف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

٥٦- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ﷺ) ، علي بن برهان الدين الحلبي ، ت ١٠٤٤ ، المكتبة الإسلامية ، بيروت .

٥٧- السيرة النبوية (من كتاب تاريخ الإسلام) ، للذهبي محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٨- شرح الخرشي على مختصر خليل ، محمد بن عبد الله الخرشي ، ت ١١٠١ ، دار صادر ، بيروت .

٥٩- شرح صحيح البخاري (الكواكب الدراري) للكرماني محمد بن يوسف ، ت ٧٨٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢/ ١٤٠١ مصورة عن ط١/ ١٣٥٦ .

٦٠- شرح صحيح مسلم (المنهاج بشرح صحيح مسلم بن الحجاج) ، للنووي يحيى بن شرف ، ت ٦٧٦ ، المطبعة المصرية .

٦١- الشرح الكبير على مختصر خليل (مع حاشية الدسوقي)، أحمد بن محمد الدردير ، ت ١٢٠١ ، دار الفكر ، بيروت .

٦٢- شرح مسند الإمام أحمد ، أحمد محمد شاكر ، ت ١٣٧٧ ، دار المعارف للطباعة والنشر ، ط٣/ ١٣٦٨ .

٦٣- شرح معاني الآثار المختلفة المروية عن رسول الله ﷺ في الأحكام ، للطحاوي أحمد بن محمد ، ت ٣٢١ ، تحقيق : محمد زهري النجار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٤- شرح منتهى الإرادات ، للبهوتي منصور بن يونس ، ت ١٠٥١ ، عالم الكتب ، بيروت .

٦٥- شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام ، للفاسي محمد بن أحمد ، ت ٨٣٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع مكتبة الباز ، مكة المكرمة .

٦٦- الصحاح ، للجوهري إسماعيل بن حماد ، ت ٣٩٣ ، تحقيق : أحمد عبد الغفور العطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢/ ١٤٠٢ .

٦٧- صحيح ابن حبان (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان) ، تأليف : محمد ابن حبان البستي ، ت ٣٥٤ ، ترتيب علي بن بَلْبان الفارسي ، ت ٧٣٩ ، تحقيق : الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط١/ ١٤٠٨ .

٦٨- صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري ، ت ٣١١ ، تحقيق : د.محمد مصطفى الأعظمي ، شركة الطباعة العربية السعودية ، الرياض ، ط٢/ ١٤٠١ .

٦٩- صحيح البخاري (مع فتح الباري) ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ت ٢٥٦ ، ينظر فتح الباري .

٧٠- صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، ت ٢٦١ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٧١- العَلَم المفرد في فضل الحجر الأسود ، ابن عَلاّن محمد علي بن محمد الصديقي المكي ، ت ١٠٥٧ ، (مخطوط) .

٧٢- عمود النسب في أنساب العرب (نظم) لأحمد بن محمد الشنقيطي الشهير بالبدوي ، ت ١٢٢٠ ، مع شرحه : تحفة الألباب بشرح الأنساب ، لحماد بن الأمين الشنقيطي ، توفي في القرن الثالث عشر الهجري ، طبع إدارة إحياء التراث الإسلامي بقطر ، ١٤٠٥ .

٧٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ ، المكتبة السلفية ، دار الفكر ، بيروت .

٧٤- فتح القدير للعاجز الفقير (شرح الهداية للمرغيناني) مع بقية شروح الهداية ، لابن الهمام كمال الدين محمد بن عبد الواحد ، ت ٨٦١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (ج٩) .

٧٥- فضل ماء زمزم ، سائد بكداش ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط٢/١٤١٥ .

٧٦- فوات الوفيات ، محمد بن شاكر الكتبي ، ت ٧٦٤ ، تحقيق : د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٧٧- في رحاب البيت الحرام ، د.السيد محمد علوي المالكي ، دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة ، السعودية ، ط٤/ ١٤١٢ .

٧٨- القاموس المحيط ، للفيروز آبادي محمد بن يعقوب ، ت ٨١٧ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧١ .

٧٩- القِرى لقاصد أم القُرى ، محب الدين الطبري أحمد بن عبد الله ، ت ٦٩٤ ، باعتناء : مصطفى السقا ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٨٠- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، للذهبي محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ ، ومعه حاشية سبط ابن العجمي إبراهيم بن محمد ، ت ٨٤١ ، تحقيق : الشيخ محمد عوامة ، دار القبلة بجدة ، السعودية ، ط١/ ١٤١٣ .

٨١- الكامل في التاريخ ، لابن الأثير عز الدين علي بن محمد ، ت ٦٣٠ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٥ .

٨٢- كشاف القناع عن الإقناع ، للبهوتي منصور بن يونس ، ت ١٠٥١ ، تعليق : هلال مصيلحي ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض .

٨٣- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علي المتقي بن حسام الدين الهندي ، ت ٩٧٥ ، صححه الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩ .

٨٤- اللباب في شرح الكتاب (شرح مختصر القدوري) للميداني عبد الغني بن طالب الغنيمي ، ت ١٢٩٨ ، تحقيق : محمود النواوي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠ .

٨٥- المبدع في شرح المقنع ، لابن المفلح إبراهيم بن محمد ، ت ٨٨٤ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٨٦- المبسوط للسرخسي محمد بن أحمد ، توفي حوالي ٤٩٠ ، دار المعرفة ، بيروت .

٨٧- متن خليل (مع جواهر الإكليل) ، خليل بن إسحاق الجندي ، ت ٧٧٦ ، دار المعرفة ، بيروت .

٨٨- مثير العزم (أو الغرام) الساكن إلى أشرف المساكن ، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ، ت ٥٩٧ ، (مخطوط) .

٨٩- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر ، ت ٨٠٧ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ .

٩٠- المجموع شرح المهذب ، للنووي يحيى بن شرف ، ت ٦٧٦ ، دار الفكر ، بيروت .

٩١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لابن عطية عبد الحق بن غالب الأندلسي ، ت ٥٤٢ ، تحقيق : الرحّالي الفاروق وآخرين ، طبع الدوحة ، قطر ، ١٣٩٨ .

٩٢- مختصر القدوري مع شرحه الجوهرة النيرة ، أحمد بن محمد ت ٤٢٨ ، والشرح : للحدادي أبي بكر بن علي ، ت ٨٠٠ ، المكتبة الإمدادية باكستان .

٩٣- مختصر نشر النّور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر ، تأليف : الشيخ عبد الله مرداد أبو الخير بن أحمد ، ت ١٣٤٣ ، اختصار : محمد سعيد العمودي وأحمد علي ، طبع عالم المعرفة ، جدة ، ط٢/ ١٤٠٦ .

٩٤- المدونة ، للإمام مالك بن أنس ، ت ١٧٩ ، دار صادر ، بيروت .

٩٥- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري محمد بن عبد الله ، ت ٤٠٥ ، مصورة عن طبعة حيدر آباد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٩٦- المسند ، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ، ت ٢٤١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٩٧- المصنَّف ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، ت ٢١١ ، تحقيق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط١/ ١٣٩٠ .

٩٨- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، ت ٨٥٢ ، تحقيق : الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، طبع وزارة الأوقاف الكويتية ، ١٣٩٠ .

٩٩- معارف السنن شرح سنن الترمذي ، محمد يوسف البنوري ، ت ١٣٩٧ ، المكتبة البنورية ، كراتشي ، باكستان .

١٠٠- معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي ، ت ٦٢٦ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٠١- المغني (ومعه الشرح الكبير) ، لابن قدامة موفق الدين عبد الله بن أحمد ، ت ٦٢٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٠٢- المغني في الضعفاء ، للذهبي محمد بن أحمد ، ت ٧٤٨ ، تحقيق : د.نور الدين عتر ، عُني بطبعه الشيخ عبد الله الأنصاري ، إدارة إحياء التراث الإسلامي ، قطر .

١٠٣- مقام إبراهيم عليه السلام ، محمد طاهر الكردي المكي ، ت ١٤٠٠ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط١/ ١٣٦٨ .

١٠٤- مناسك الملا علي القاري بن سلطان ، (المسلك المتقسط في المنسك المتوسط على لباب المناسك للإمام السندي) ، ت ١٠١٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٠٥- مناسك النووي ، يحيى بن شرف ، ت ٦٧٦ ، (مع حاشية ابن حجر الهيتمي) دار الحديث للطباعة ، بيروت ، ط٢/١٤٠٥ .

١٠٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ، ت ٥٩٧ ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ط١/ ١٣٥٧ .

١٠٧- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك ، للباجي سليمان بن خلف ، ت ٤٧٤ ، مصورة عن طبعة مطبعة السعادة ، القاهرة ، ط١/ ١٣٣١ .

١٠٨- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل ، للحطاب محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٥٤ ، دار الفكر ، بيروت ، ط٢/ ١٣٩٨ .

١٠٩- الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، ت ١٧٩ ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١١٠- نصب الراية لأحاديث الهداية ، للزيلعي عبد الله بن يوسف ، ت ٧٦٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢/ ١٣٩٣ .

١١١- النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري ، ت ٦٠٦ ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، د.محمود محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية ، بيروت .

١١٢- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، للشوكاني محمد بن علي ، ت ١٢٥٠ ، دار الجيل ، بيروت .

١١٣- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك ، لابن جماعة عبد العزيز بن بدر الدين محمد ، ت ٧٦٧ ، تحقيق : د.نور الدين عتر ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط١/١٤١٤ .

١١٤- هداية الناسك على توضيح المناسك ، محمد حسين عابد المكي ، ت ١٣٤١ ، مطبعة المؤيد ، ١٣١٠ .

١١٥- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ ، للسمهودي نور الدين علي بن أحمد ، ت ٩١١ ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، ط٣/ ١٩٨٣ .

١١٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلّكان أحمد بن محمد ، ت ٦٨١ ، تحقيق : د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

* * * * *

فهرس الموضوعات

* * * * *